بسم ا   القوي

مقدمة

لا شك أن شهادة الحياة هي أقوى شهادة، فالمحبة التي هي أولى الوصايا وتاج الحياة المسيحية لا تكتمل إلا بالأعمال، لا نحب باللسان والكلام، بل بالعمل والحق، والإيمان نفسه بدون الأعمال ميت ولابد أن يترجم إلى أعمال "إيمان عامل بالمحبة".

هكذا لمسنا تأثير القصص الإيمانية التي من واقع الحياة لمسنا تأثيرها على النفوس وتقوية الإيمان وتشديد الرجاء أكثر بكثير من أبلغ الكلام.

لأن من طبع البشرالنسيان والكلام ينسى أسرع من الأحداث والأعمال التي يراها الإنسان في أشخاص أحياء.

وهذا يضع علينا مسئولية الشهادة للمسيح بالحياة العملية، ويتمثل ناك في حفظ وصاياه "الذي يحبني يحفظ وصاياي"، وفي إظهار اسمه المبارك "أنا أظهرت اسمك للناس"، وفي تمجيده في حياتنا "أنا مجدت اسمك على الأرض".

فالإنسان المسيحي الحقيقي يحيا شاهدًا لنعمة ا   وقوة الإيمان بالمسيح وصليبه المحيي وقيامته المقدسة. "آمين. بموتك يارب نبشر وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى السموات نعترف، نسبحك، نباركك،...".

وهو في هذه الحال لا يحيا بذاته ولا يحيا لذاته، بل "لأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ"... ليس أحد منا يعيش لذاته ولا أحد يموت لذاته... إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت. إن عشنا وإن متنا فللرب نحن".

فإن انحازت حياتنا بالتمام للمسيح الذي اشترانا، صرنا

بالحق شهود أمناء له ضد كل ما يجرى في العالم.

نطلب بإلحاح ونتوسل إلى الله أن تكون هذه العينات الشاهدة للمسيح سبب بركة لكل من يقرأها وحافزًا، على حياة الصلاة والقداسة والتمسك بالإيمان إلى النفس الأخير. آمين.

القمص لوقا سيداروس

الأحد الرابع من الخماسين المقدسة 9 مايو سنة 1999

ميلاد العذراء القديسة مريم 1 بشنس سنة 1715

صانع العجائب

كان للمتنيح البابا كيرلس السادس مع الشهيد العظيم مارمينا العجائبي دالة عجيبة، أعمق من أن يدركها الناس، فأرواح الأنبياء مخضعة للأنبياء، وعمق الشركة مع القديسين في المسيح يسوع واقع حقيقي ليس في خيال أو مبالغات في الكلام. لقدر لمس القريبون من البابا القديس هذه الدالة وكانوا يتعجبون فيما بينهم ويتناقلون هذه الأخبار العجيبة التي تحدث كل يوم في حياة البابا وهو يرعى ويعتني بقطيع المسيح مسنودًا من الشهيد العظيم مارمينا العجائبي.

أعرف إحدى السيدات التقيات وهي من عائلة متدينة من قنا، يحيون حياة مسيحية ويتحلون بفضائل جميلة، عائشين في خوف ا ويتمسكون بالإيمان وحياة القداسة. وكانوا- كعائلة- معروفين لدى البابا كيرلس مقربين إليه إذ قد أدرك بإفرازه الفائق مدى حبهم للمسيح وتمسكهم بالفضيلة وحياة الإيمان فيهم.

وكانت هذه السيدة من الذين يواظبون على القداسات اليومية لا سيما في فترة وجود البابا بالإسكندرية... فهي حريصة على نوال بركته يوميًا هي وبعض أفراد عائلتها.

وحدث ذات يوم بعدما فرغ البابا من صلاة القداس الإلهي وبارك الحاضرين ووزع عليهم البركة، وهو في طريقه إلى قلايته أمسكت به سيدة تبكي بدموع وتستغيث بالبابا أن يعينها في تجربة مُرة كانت مجربة بها، وكنت في ذلك اليوم حاضرًا مع البابا صلاة القداس، وعبثًا حاولت أن أهديء السيدة التي كانت منفعلة بكثرة البكاء... وكان منظرها ولجاجتها يذكرانني بالمرأة الكنعانية التي كانت تصرخ من أجل ابنتها حتى أخذت من الرب شفاء ابنتها.

كان المجتمعون حول البابا في طريقه يراقبون هذا المنظر، والحق يُقال أن هذا المنظر كان يتكرر كثيرًا من ذوى الحاجات

والأمراض والضيقات والتجارب، وكانوا يثقون أن باباهم الحنون يستطيع بنعمة المسيح أن يريح التعابى منهم.

التفت البابا إلى هذه السيدة المسكينة، وقال لها بأسلوبه الأبوي العذب "طيب يا بنتي هانبعتاك مارمينا، خلاص، خلاص، هانبعتاك مارمينا".

وكانت تقف إلى جوارى من الناحية الأخرى الأخت الصعيدية مع بنت أختها تراقب إلحاح السيدة وجواب البابا ووعده أنه سيرسل لها مارمينا، وإذا بهذه الأخت تصرخ نحو البابا وتقول وأنا يا سيدنا وأنا يا سيدنا.. فالتفت إليها البابا وقال "عاوزه إيه يا بنت إنتِ" فقالت في سذاجة تشبه الأطفال الصغار ابعت ليّ مارمينا يا سيدنا... ابعت ليّ مارمينا. فقال لها البابا وهو يبتسم "طيب روحي يا بنت انت كمان".

انصرفنا بعد أن صعد البابا إلى قلايته، وذهب كل واحد إلى حال سبيله.. وذهبت هذه الأخت إلى مدرستها لأنها كانت مدرسة في إحدى المدارس الإعدادية.. وعادت في آخر النهار إلى منزلها، واهتمت بأمورها المنزليه، وأعدت الطعام لزوجها، ولما عاد من العمل تناولا الطعام معًا...إذ لم يكن لهما أولاد. وزارهما بعض الأقارب كعاتهما وقضيا وقتًا طيبًا بين الكلام الروحي والصلاة وسّير القديسين لأن هذه هي عادتهم إذا اجتمعوا وهي ناسية تمامًا ما حدث في الصباح مع البابا، إذ لم تضع هذا الأمر في حسبانها ولا أولته اهتمامًا. كانت قد نسيت كل شيء.

وبعدما صليا صلاة نصف الليل هي وزوجها التقي، خلدا إلى النوم وكانت الساعة تقترب من الحادية عشر قبل منتصف الليل. وحوالي الساعة الثانيه بعد منتصف الليل، وبدون مقدمات، فتحت هذه الأخت عينيها مستيقظة من نومها وسمعت صوت باب الحجرة ينفتح وهالها المنظر الرهيب النوراني.. مارمينا العجايبي بمنظره التقليدي رافعًا كلتا يديه وبردائه القصير يدخل في هدوء عجيب ويتقدم نحوها كطيف نوراني

رقيق. توقفت الأخت عن ألتنفس مرتاعة، إذ داهمها شعور بالخوف وعدم الاستحقاق، لم تضبط نفسها، ولم تصدق ما تراه. حاولت في تلك اللحظة أن توقظ زوجها، استجمعت قواها لكي تحرك يدها لتوقظه فلم تستطع أن تحرك ذراعها. حاولت أن تنادي زوجها، فلم تجد نفسها قادرة على الكلام، تجمدت تمامًا... وبالكاد من هول ما أصابها، استطاعت بعد جهد أن تسحب البطانية وتستر بها وجهها... ولم تدر بنفسها كيف غلبها النعاس فنامت.

قامت في الصباح الباكر متأخرة أكثر من ساعة عن ميعادها، قالت في نفسها لقد تأخرت عن القداس، لكنها بسرعة جهزت نفسها للخروج وجرت مسرعة إلى الكنيسة وبالفعل وصلت إلى الكنيسة المرقسية. كان البابا قد انتهى من القداس وصرف الناس وصعد إلى قلايته. وفي عجلتها هذه وشعورها بالتأخير وفي محاولتها للوصول في هذه الزحمة، كانت قد نسيت الرؤيا التي شاهدتها في فجر اليوم.

سألت عن البابا قالوا لها لقد صعد إلى قلايته من دقائق، جرت مسرعة إلى الطابق العلوي، قرعت الباب فتحوا لها. وهي معروفة لدى السكرتاريين وخدام البابا. قالت سيدنا فاتح؟ قالوا لها نعم، قالت آخذ بركة. .. قالوا لها ادخلي، دخلت بسرعة.

وكان البابا جالسًا على كرسيه في طرف صاله الاستقبال الملحقة بقلايته. عملت مطانية من عند الباب وهي تقول السلام لك يا سيدنا... فاجأها البابا بأن رد عليها بصوت عال وهو محتد وقال لها "انت يا بنت يا قليلة الذوق، انت ما عندكيش دم". استغربت غاية في الغرابة لماذا هذا الكلام... ولأول مرة تسمع سيدنا يوبخها، ماذا يا سيدنا.. ليه يا سيدنا؟ فقال لها نبعت لك الرجل تعملي فيه كده! هنا تذكرت الأخت الرؤيا ومنظر مارمينا... فصرخت تعتذر.. خفت يا سيدنا... حقك عليّ أنا خفت ولم أعرف ماذا أفعل... أخطيت حاللني وسامحني.

عاد البابا يبتسم ويقول لها "لما انت مش قد الحاجات دي تبقي تسكتي".

طلبت إليه أن يصلي لها. وضع يده على رأسها وباركها. وكانت تتوسل إليه وتقول أوعى مارمينا يزعل مني يا سيدنا. وكان البابا يضحك ويقول: القديسون ما يعرفوش الزعل يا بنتي.

عادت السيدة تقص عليّ في ذات اليوم هذه الحادثة العجيبة، لقد أرسل لها مارمينا فعلاً، وعاد مارمينا فحكى للبابا ما حدث مع السيدة تمامًا.،. أصابتني دهشة عظيمة.. إلى هذا الحد من الصداقة والألفة صار البابا مع مارمينا. أحسست أننا نعيش أيام السماء على الأرض... لا فرق... لا حساب للزمن... لا حدود للمكان... انفتحت السماوات، صار الناس في زمن نعمة منحدرة من السماء بسبب هذا البابا الروحاني، رجل الصلاة وصديق مارمينا.

مارجرجس حل المشكلة

من طريف القصص ما حدث منذ حوالي 30 سنة حين جاءت فتاة صغيرة تبلغ من العمر عشر سنوات، جاءت إلى أبينا بيشوي وجلست إلى جواره تسأله سؤالاً غريبًا، تقول فيه: "هل إذا وجدت نقودًا بالكنيسة وأخذتها. هل هذا حرام؟"

فأجابها أبونا بيشوي بحكمته المعهودة وهو يعرف الطفلة ويعرف والدها ووالدتها وأخوتها حق المعرفة ويعرف عن الطفلة براءتها وحبها للكنيسة، لأنها تربت فيها هي وإخوتها... أجابها قائلاً: لماذا تسألينني هذا السؤال؟ ماذا حدث؟

فقصت له الطفلة قصتها الطريفة جدًا... فمنذ يومين دخل والدها في ساعة الظهيرة إلى المنزل وبعد دقائق كان هناك نقاش حاد بين والدها ووالدتها، علا النقاش حتى إلى الصراخ. وكانت الطفلة ينتابها هلع حينما تسمع بداية المناقشات الحادة، فالأمر ينتهي دائمًا بالعنف من جهة الأب

والصراخ من الأم... وإن كانت الطفلة هي وإخوتها يدركون شيئًا من هذا إلا أن المناظر التي علقت بأذهانهم من إهانات وضرب وشتائم كان قد أثر في نفوسهم البسيطة أبلغ الأثر.

كان الموضوع الرئيسي للخلافات... هو المال... كان الرجل يتهم زوجته بالإفراط في الصرف وعدم التصرف الحكيم، بينما كانت السيدة وهي طيبة القلب لا تتصرف دون إذن زوجها إلا في أضيق الحدود المعيشية وحسب الاحتياج. كان أبونا بيشوي يعرف مشاكلهم ويتدخل لحلها. وكان يعزي هذه السيدة ويمدها بطاقة في الصلاة للاحتمال والشكر وكان يقودها إلى الحكمة التي بنت بيتها. وعبثًا حاول أبونا بيشوي مع الرجل فهو دائمًا مشغول يلتمس لنفسه الأعذار في عدم حضوره للكنيسة. فكان أبونا يثبت الزوجة في الإيمان من أجل الأولاد ومن أجل سلامة بيتها. فكانت السيدة تطيع نصائح أبونا وكانت كثيرًا من المشكلات تنقشع وتنتهي قبل أن تبدأ، لأن الزوجة أصبحت حريصة على تفادي الأمور التي تسبب الإثارة.

فكان أن قضوا أيامهم في شبه سلام دائم. ولكن ما حدث منذ يومين، أنه كان هناك مبلغ من المال قد حفظه الزوج بالمنزل منذ شهرين، ولما افتقده أول أمس إذ المبلغ ناقص ثلاثة جنيهات. عدّ الرجل المبلغ مرة أخرى لكي يتأكد. ثم بدأ يحتد وهو ينادي زوجته ليسألها عن ضياع المبلغ.

كانت السيدة على مدى الشهرين قد احتاجت لبعض الضروريات، فمدت يدها إلى المبلغ دون علم رجلها بذلك... وكانت تلتمس فرصة مواتية لتخبره عن ذلك ولكنها نسيت الأمر أو لم تتسن لها هذه الفرصة.

أدركت السيدة حين سمعت صراخ زوجها أن زوبعة عاصفة على وشك أن تصدم حياتها وأن مشكلة كبيرة تلوح بوادرها من نبرات

صوته الغاضب. رشمت ذاتها بعلامة الصليب، وصلت رافعة قلبها إلى السماء... يا رب استر، وطلبت في لحظة حكمة من الأعالي، كيف أتصرف؟ فالتفاهم صعب، والكلام في مثل هذا الوقت غير مقبول... يا مارجرجس أعني، اشفع فيّ... ثم اقتربت إلى زوجها قائلة: ماذا بك قال غاضبًا: الفلوس ناقصة ثلاثة جنيهات، أجابت فورًا دون تفكير أيوه ثلاثة جنيه، أنا أعطيتهم لأبونا بيشوي. لأن أبونا كان قد أوصاها أن تقول عن أي مبلغ ناقص أنه طرف أبونا بيشوي. ثار الرجل بالأكثر... أبونا بيشوي مين؟ أنت كاذبة .... قالت السيدة بهدوء: أنا هاجيب له الثلاثة جنيهات حالاً، اهدأ واسكت. ثم نادت طفلتها قائلة: روحي يا بنت كنيسة مارجرجس، وهاتي الثلاثة جنيهات من أبونا بيشوي، ثم قالت لرجلها لاتتكلم ولا تغضب.

أسرعت الطفلة خطاها وانطلقت نحو الكنيسة، لابد أن تحضر المبلغ لكي تهدأ العاصفة. وببراءة الطفولة التي كان يزعجها الصراخ والإهانات، راحت تصلي كل الوقت الذي كانت تجري فيه نحو الكنيسة. كان بيتهم يبعد عن الكنيسة نحو عشر دقائق سيرًا على الأقدام... قضتها الطفلة مصلية متشفعة بالقديس مارجرجس، وكأنها كانت منطلقة في مهمة انقاذ فلم تلتفت يمينًا ولا شمالاً ولا تعوقت في الطريق ولا تلكأت، فالموقف لا يحتمل الإبطاء.

وبعد دقائق وجدت نفسها في الكنيسة، إنه وقت الظهر، لا يوجد بالكنيسة صلوات ولا قداسات ولا اجتماعات... لا يوجد سوى الفراشين... سألت لوقتها بلهفة هل أبونا بيشوي موجود؟ قال لها الفراش أنه غير موجود بالكنيسة. أصابها خوف ونوع من خيبة الأمل، ولكنها دخلت إلى الكنيسة ووقفت أمام أيقونة مارجرجس تصلي في براءة الطفولة وإيمانها. ثم التفتت إلى أسفل فوجدت شيئًا غريبًا بجوار رجلها... توجد ورقة مالية، إنه جنيه، انحنت والتقطته من الأرض، نعم إنه جنيه

ملفوف، فكته بسرعة وإذ هو جنيهان، بل ثلاثة جنيهات.. عجيبة، أشكرك يا مارجرجس جدًا، لم تلبث ثوان حتى عادت أدراجها تجري وتلهث، وفي هذه المرة تصرخ بشكر عجيب، وفرح لا ينطق به، دخلت إلى والدتها، دفعت الجنيهات ليدها وهي تقول: اتفضلي يا ماما الثلاثة جنيهات... أخذتها السيدة وسلمتها لزوجها وقالت أتفضل... آمن واهدأ. لم يرد الرجل جوابًا ولا استفسارعن الأمر فكل ما يهمه أن يكون المبلغ موجودًا، وتفادت السيدة الغضب والخناق.

بعدما هدأ الأمر عادت السيدة تسأل طفلتها ماذا قلت لأبونا بيشوي قالت الطفلة لم أر أبونا بيشوي. إذن ماذا حدث؟ قصت الطفلة لأمها تفاصيل ما جرى. قالت الأم وهي تمجد ا : يا حبيبتي دي فلوس الكنيسة ولكن روحي اسألي أبونا هل هذا التصرف الذي تصرفته صحيح ولا حرام.

لهذا بادرت الطفلة إلى أبينا بيشوي تسأله هذا السؤال. فلما استفسر منها عن مغزى السؤال وحكت له تفاصيل الأمر، قال لها أبونا بيشوي: يا حبيبتي مارجرجس كان عارف أنني سأكون غير موجود بالكنيسة في ذلك الوقت لكي أحل هذه المشكلة، فهو قام بسرعة وحلها أسرع وألقى لك الثلاثة جنيهات تحت أيقونته وأوعز إليك أن تذهبي حيث رسمه، فأيقونة القديس تمثله كصورته، وعندما نتشفع بالقديسين يسمعوننا ويقدموا لنا المعونة لأنهم خدام المسيح الذي نعبده... فهذا الأمر الذي فعلت هو عين الصواب، ومش حرام أبدًا.

فرحت الطفلة البسيطة لهذا، وجاء أبونا بيشوي يحكي ليّ تفاصيل هذه القصة الطريفة. فكنا نمجد ا على أعمال حبه وأنه ممجد مع قديسيه في كل مكان وزمان.

في الهزيع الأخير

سيدة فاضلة تحيا هي وزوجها وأولادها حياة مسيحية، أسرة

طيبة متدينة مواظبة على العبادة ومحبة للخدمة.. جاءتني يومًا باكية تقول: لي جارة غيرمسيحية وهي مريضة مرض الموت، عندها سرطان وهي الآن في أيامها الأخيرة. قلت لها مراحم ا واسعة، وجسد الإنسان مسكين وضعيف. وكيف يعمل الإنسان في مثل هذه الظروف وهو محروم من المسيح.. من أين تأتيه تعزية وكيف يكون له رجاء وهو ليس له نصيب في المسيح!!

قالت لي السيدة الفاضلة: لكنها تود أن تراك.

قلت لها: من قال لك هذا؟ قالت: هي طلبت مني. قلت: وهل تعرفني؟ قال: نعم.

قلت: كيف؟ قالت لا أعلم ولكنها تعرفك بالإسم.. قلت: لو تسنى لي وقت، أزورها.

ومضى أسبوع وكنت في مشغوليات كثيرة. قابلتني السيدة الفاضلة مرة أخرى تتوسل إليّ... لماذا لم تحضر؟ المريضة منتظرة بفارغ الصبر وحالتها إلى أسوأ. قلت لها: ماذا أصنع لها؟ أشعر أنني مكتوف الأيدي. كيف أزور بيت غيرمسيحي؟ لماذا لم يحضر زوجها ليدعوني إلى بيته؟

قالت السيدة أن زوجها يعمل مدير قطاع في المحلة الكبرى وهو معظم الوقت خارج المدينة. وهذه الأيام يحضر كل كام يوم.. ظروفه صعبة وهي ظروفها أصعب... وعلى كل حال كانت تكلمني عن زيارتك وزوجها حاضر ولم يبد أي اعتراض بل قال أهلاًوسهلاً في أي وقت.

اضطررت تحت إلحاح هذه الأخت أن أذهب معها لزيارة جارتها. دخلنا المنزل وفتحت هذه الأخت باب شقة المريضة لأنها أعطتها مفتاح شقتها لأنها ملازمة الفراش ولا تقدر أن تفتح لأحد. ما أن دلفنا إلى الداخل، حتى صدمت برائحة كريهة تنبعث من داخل الشقة. شيء لايطاق... تحاملت على نفسي ودخلت إلى الحجرة حيث كانت السيدة

المريضة. كانت سيدة في الخمسينات من عمرها. ورغم أنها طريحة الفراش ومريضة مرض الموت إلا أنها تبدو جميلة المنظر، وقد علمت أنه قد أُجريت لها منذ سنة عملية استئصال الثديين، وأنها عولجت بالأشعة فاحترق جلدها، وأن رائحة النتن التي تملأ البيت تنبعث من جراحاتها المتقيحة، وأنهم مهما سكبوا من روائح طيبة في المنزل أو على فراشها فإن الرائحة النتنة تطغي ... شيء مؤلم للغاية!

جلست إلى جوار فراش المريضة، سلمت عليها، أخذت يدي تقبلها، وعيناها تدمع. تأثرت في نفسي، ورحت أكلمها عن مراحم ا وأن ما يسمح به ا في حياة الناس من أمراض يبد أنه لخير الإنسان... وأن القديسين تألموا وصبروا على الآلام وتكلمت عن تجربة أيوب الصديق في كلمات قليلة، وهي تنصت دون تعليق، فلا مجال لكثرة الكلام فهي في مرحلة متأخرة، ولكنها بكامل انتباهها ووعيها.

انتظرت السيدة المريضة حتى انتهيت من كلماتي القليلة ثم استأذنت الأخت المسيحية وبنتها اللتان كانتا واقفتين قائلة: ممكن تتركوني مع أبونا وحدي لمدة دقائق؟ استجابت السيدتان للحال وخرجتا إلى خارج الحجرة.

أدارت السيدة وجهها نحوي ونظرت إليّ نظرة عميقة، ثم انفجرت في بكاء ومرارة، لم أر في حياتي إنسانًا ينحصر في الحزن وهو في شدة مرضه مثلما رأيت في مثل هذه السيدة. كاد قلبي ينفطر وأنا أرى منظرها المؤلم... لم يكن أمامي شيء أفعله، فأنا لا أعرف سبب انفجارها في البكاء هكذا، حاولت أن أهدئها بكلمات تعزية، وهي تشهق بالبكاء، وبالكاد نجحت أن أُسكتها وقلت لها تكلمي بدون بكاء لكي أفهم وأعرف كيف أُجيبك.

تمالكت المسكينة نفسها وقالت: "يا أبي أنا مسيحية، وقعت هذه الكلمات على نفسي كالصاعقة. ولكني أطرقت ببصري إلى الأرض

وقلت: نعم. قالت أنا أخت الدكتور فلان (وهذا الدكتور أنا أعرفه من القاهرة).

كان عمرى 16 سنة، زوجني والدي لرجل لبناني ثري جدًا يبلغ الخمسين من عمره. وكنت وقتذاك فتاة صغيرة وجميلة ولم تكن ليّ خبرة في الحياة. وكان هذا الزواج غير موفق على الأطلاق بسبب الفوارق غير العادية في كل شيء، والتفت حولي بعض صديقات السوء من السيدات، شجنني على ترك بيتي وهكذا، إلى أن تزرجت بزوجي المسلم هذا... فعلت كل شيء في عدم إدراك. وكان هذا من أكثرمن ثلاثين سنة. ولكن عادت تبكي بمرارة وتقول: لم يغب شخص يسوع عن نظري وقلبي وحياتي ولم يغب صليبه عن ذهني. صدقني يا أبي ولا يوم واحد من أيام حياتي.

أنجبت ولدين عمدتهما سرًا، وكنت أعلمهما منذ نعومة أظفارهما الحياة بالمسيح والإيمان به، وكبرا وتعلما وهما الآن بالخارج يعيشان حياة مسيحية فاضلة. وها أنا كما تراني طرحني المرض للموت، وكما ترى يا أبي ها أنا أنتن وأنا بعد حية... يا ويحي، يا شقاوتي... أنا أستحق أكثر من هذا... أنا تنكرت لإيماني... أنا جحدت مسيحي. والحق يقال أنني في تلك اللحظات القليلة أصبحت أمام قصة توبة فريدة من نوعها.. فهذا هو الهزيع الأخير... ولكن إلهنا يخلص ويحيي من الموت ماقد هلك.

عادت السيدة تسألني بنفس كسيرة هل بعد كل هذا يوجد رجاء؟

سرت في نفسي قشعريرة رهيبة وانبرى لساني ينطق بكلمات رجاء وقوة لم أنطقها في حياتي. تمثلت شخص مخلصنا الصالح وهو يفدي غنمة صغيرة من فم الأسد. كاد يبتلعها، بل قد مضى زمان الافتقاد وها هي على حافة الهاوية. ولكن مبارك ا "الذى يخلص نفسي من الموت وعينيّ من الدموع ورجليّ من الزلل".

قلت: إن مخلص اللص اليمين قائم وحاضر وقادر، ومبرر

الفجار قائم من الأهوات وأن خطايانا مهما تعاظمت لا تقوى على الوجود، إن نحن التجأنا بإيمان وتوبة للقادر أن يخلّص إلى التمام. وبمثل هذا الكلام كنت أعزيها.

أشرق وجهها بنور رجاء... وكانت عيناها تسح دموعًا كالنهر. ولكن وجهها كان مرتاحًا وملامحها تغيرت كمن أشرق عليها الشمس.

قالت متسائلة بنبرة عجيبة: أنا أثق في كل كلمة قلتها ليّ أن الرب يقبلني. فهل تناولني ما حرمت منه أكثر من ثلاثين سنة؟ قلت لها بكل تأكيد. قالت: ضع صليبك عليّ وحاللني. وقفت لأصلي التحليل، ولم أتمالك نفسي من البكاء... وانصرفت على أن أعود إليها في الغد لكي أناولها.

أسرعت إلى أبينا بيشوي كامل... أخبرته بكل شيء، ملك علينا التأثر، وأخبرته عما فعلت وعما وعدتها به من أجل التناول.. قال ليً أبونا بيشوي دعنا نصلي لكي يمد ا في أجلها إلى الغد حتى تتناول فتتعزى نفسها وترقد على الرجاء. وقد كان... صليت قداسًا في الصباح الباكر وذهبت مع الأخت المسيحية وهي منزهلة ماذا حدث؟ وألف سؤال يدور في رأسها. دخلنا إلى السيدة... شكرت المسيح أيما شكر إذ وجدتها منتظرة، متيقظة، عندما دخلت حجرتها أغمضت عينيها وبكل ما ملكت من قوة قالت مبارك الآتي باسم الرب. صليت وناولتها ولم أر في حياتي هذا الفرح في أحد يتناول.

هذا هو خبز الحياة، هذا هو العهد الأبدي بدم المسيح. هذا عربون الخلاص وقوة القيامة وذخيرة الحياة الأبدية.

لا تقدر الكلمات على التعبير نحو جود المسيح وإحسانه وعند عجز الكلمات ينفطر القلب وتدر الدموع ويصير الإنسان في الروح ويكاد يلمس كل ما هو سماوي.

لا أنسى ذلك اليوم ما حييت وكأن هذه الساعة لم تكن من

ساعات هذا العالم، بل هي حقًا يوم من أيام السماء على الأرض.

فرح الرب بخروفه الضال شيء رهيب لا يُعبرعنه، بل هو يدعو من في السماء ومن على الأرض يقول: "افرحوا معي فقد وجدت خروفي الضال".

وكان فرح في السماء... فما هي إلا ساعات وانطلقت هذه النفس إلى الذي أحبها وخلصها وأنقذها في الهزيع الأخير من ليل أيام كانت ظلمتها حالكة فلما أشرق نور قيامة المسيح تبددت الظلمة إلى الأبد.

مررت بنفس الشارع بالليل وجدت سرادق مقام للعزاء ومقرئين وزحمة من الناس فالرجل زوجها يشغل منصبًا كبيرًا. قلت في نفسي إن التراب للتراب أما النفس المفدية فقد انطلقت مفداة مخلصة منقذة من جميع الخطايا.. ولا علاقة لما يعمله الناس أو فكر الناس، بعمل ا وفكر ا .

خطرعلى بالي قول الرب "دع الموتى يدفون موتاهم، أما أنت فاذهب وبشر بملكوت ا ".

سلوك آبائي متقن

في بكورحياتي الكهنوتية سنة 1967 كان يسكن بجوار كنيستنا في اسبورتنج رجل فاضل تقي من أسرة متدينة محبة للمسيح. وكان له أخ راهب شيخ متقدم في السن من رهبان دير البراموس العامر. وكان لهذا الأب عادة في شيخوخته أن يزور أخيه الساكن بجوار الكنيسة مرة في كل سنة يقضي معه بعض الأسابيع. وكان هذا الأب قد أحنت السنين ظهره، وصار جسده ضعيفًا وحركته بطيئة، ولكن كان وجهه يسطع بنورالنعمة، كأنه وجه ملاك. وكان كل يوم أحد يحضره أخوه إلى الكنيسة باكرًا جدًا، وإذ كان لا يقوى على الوقوف، كان يجلس أمام باب الهيكل ووجهه نحو المذبح لا يتحرك لمدة ساعات عيناه شاخصتان إلى السماء، شفتاه تتحركان بكلمات الصلاة والألحان، بصوت خافت لا يسمعه أحد. فكان منظره الملائكي يشيع السلام في قلوب الكثيرين، وكان كثيرون يلتمسون

بركته.

كانت سيرة هذا الأب بين الشيوخ في دير البراموس، مشهودًا لها من الجميع. إذ كان منذ شبابه طاهرًا بسيطًا محبًا متحليًا بالوداعة كأنه طفل وقد زادته سنين العبادة نعمةّ فوق نعمة.

كنت كلما اتيحت ليّ فرصة أذهب لزيارة هذا الأب الطيب في بيت شقيقه، وقد استرعى انتباهي سلوكه الرهباني المدقق وحرصه على خلاص نفسه. ففي كل مرة كنت أدخل إليهم ويعلم بوجودي، يخرج من حجرته ويقابلني ببشاشة عجيبة ويرحب بيّ بمحبة قلبية حقيقية، ويجلس بجواري يسألني عن أحوالي وأطلب منه أن يصلي من أجلي، ولا تمر دقائق حتى يمد يده إلى مجموعة الكتب التي بجواره ويقدم ليّ كتابًا ويقول أرجوك عزينا بكلام الكتب.

كانت الكتيبات الصغيرة، هي مجموعة من سير القديسين وأقوال الآباء وبستان الرهبان، مع الكتاب المقدس الذي كان لا يفارق حياته. وكانت هذه الكتب منسوخة بخط اليد ومغلفة بأغلفة جلدية، وكان هذا الأب هو الذي نسخها بيده.

كانت أحب القصص إليه قصة القديسة مارينا التي تزينت بزي الرجال وترهبت، ولم يكن أحد يعلم من أمرها شيئًا وكانوا يعزون رقة صوتها إلى النسك الشديد. ثم اتهمت ظلمًا بأنها اعتدت على عفاف ابنة صاحب فندق، فطردوها من الدير ثم أتى صاحب الفندق بالطفل المولود من ابنته إلى القديسة مارينا اعتقادًا منه أنها والد الطفل، فحملته القديسة واعتنت به عناية فائقة وهي عائشة بلا مأوى تنتقل به بين رعاة الغنم تطعمه إلى أن شبّ، وهي تسقيه لبن الإيمان والحياة مع ا والصلاة الدائمة.

واذ تشفع الرهبان عنها إلى رئيس الدير، عاد فقبلها ووضع عليها قوانين صعبة فوق الطاقة، فاحتملت كل هذا بصبر جميل، ولم تدافع

عن نفسها رغم الظلم الفادح، حتى تنيحت بسلام فاكتشفوا أنها فتاة وأنها بريئة من كل ما نُسب إليها... وقد شرفها ا بعمل آيات وعجائب من جسدها بعد نياحتها.

فكنت أقرأ هذه السيرة الروحانية المؤثرة... وكان هذا الأب ينصت بسكوت وعمق، ودموعه تجري على خديه وتنساب بغزارة.. من بداية القراءة حتى نهايتها. كان يتملكني العجب، فالرجل يعرف هذه السيرة بل أقول إنه يكاد يحفظها عن ظهر قلب، بل هو ناسخها بخط يده، فليست هذه أول مرة يسمعها فيتأثر، وليس فيها شيء غريب على مسمعه.

فمن أين يأتيه هذا التأثر والدموع؟ كيف أن التكرار الكثير لم يتحوّل إلى روتين!!

وتأكدت أن الأبرار يكون قلبهم ملتهبًا فيهم بالحب الإلهي، والشوق إلى السمائيات فيهم يزيد ولا ينقص، ونار الروح فيهم تضطرم ولاتخمد!!

وكنت إذ انتهى من القراءة والرجل في حالة التأثر العميق ... وقد نضح وقاره وتأثره على المحيطين به... لم يكن بعد مجال لكلام مهما كان نوعه. فكنت أجلس صامتًا لمدة دقائق ثم انصرف طالبًا صلواته عني.

وقد تعلمت من هذا السلوك الرهباني الأصيل الشيء الكثير. تعلمت كيف يكون الحرص حتى لا يفقد الإنسان حيويته وحساسيته في الروح، فلا يسمح للبرودة التي في الخارج أن تتسرب إلى داخل قلبه. وقد تعلمت كيف كان الآباء حريصون على خلاصهم، فعلاقتهم بالآخرين واختلاطهم بالناس ومقابلاتهم وزيارتهم كانت لحساب المسيح. وتعلمت الحرص على الوقت، فلا يوجد وقت للضياع أو للهزل أو للرغي أو الكلام الذي ليس للبنيان... فكل الوقت وقت مقبول لعمل الروح.

من كل الفئات

سيرة القديسة الشهيدة مطرونة التي تعيّد لها الكنيسة في10 توت (20 سبتمبر) من كل عام، تشهد لكنيستنا الحية التي تكرم الشهادة للمسيح بغض النظر عن المراكز العالمية، أو الأسماء المشهورة، أو أصحاب الرتب أو الأغنياء والوجهاء.

فهذه القديسة الشهيدة، كانت تعمل خادمة فقيرة لدى سيدة يهودية متسلطة وشريرة. وكانت القديسة تحب سيدها الحقيقي يسوع المسيح وتشهد له، فمن جهة الشكل عبدة مستعبدة، ومن جهة الجوهر كانت حرة عتيقة الرب الذي حررها الحرية الداخلية "إن حرركم الإبن فبالحقيقة تصيرون أحرار". فلما عجزت سيدتها عن إمالتها عن إيمانها- فهي مطيعة لها خادمة لحاجتها ولكن لم تخضع لها ولا لحظة واحدة من جهة تمسكها بإيمانها بالمسيح وعبادتها للذي أحبها وأسلم نفسه لأجلها- فلما رأت منها سيدتها هذا التمسك والقوة، لجأت إلى العنف فضيقت عليها في حبس بلا أكل ولا شرب مع الضرب والإهانة حتى أسلمت روحها الطاهرة في يد المسيح الذي أحبها. ولما أرادت سيدتها الجاحدة أن تخفي جريمتها حاولت أن تلقي بجسد القديسة من على السطح ليقال إنها سقطت عفوًا، فبينما هي تكمل شرها وتخفي فعلتها، لم تختف عن عيني كاشف الأسرار وعارف نوايا البشر، فزلت قدمها فسقطت وماتت لحالها. والجميل في الكنيسة أنها لم تغفل أن تكرم مثل هذه القديسة الشهيدة، فهي وإن لم يكن لها مركز قيادي كأم لجماعة رهبانية مثلاً، ولا هي تضلعت بأعمال باهرة ولا قامت بمشاريع تخلد ذكراها ولا ولدت أولادًا صاروا أصحاب شأن في الكنيسة، لا شيء من هذا، بل على العكس سيرة ضعيفة فقيرة مطمورة، تكاد تكون منسية من الجميع... ولكنها إذ تكللت بالإكليل السمائي وعُدّت في مصاف الشهداء القديسين ألزمت الكنيسة كلها أن تعيد لها وتسطر اسمها في السنكسار والتاريخ ودخلت ضمن جوقة صفوف

الشهداء بجوار مارجرجس ومارمينا والقديس مرقوريوس أبي سيفين والقديسة الأميرة الشهيدة دميانة والأم دولاجي.

فما أروعها كنيسة تزن النفوس بميزان الروح وتقيم قديسيها بمقدار ما قدموا حياتهم محبة في المسيح الملك.

سيرة أخرى:

فكرتني هذه السيرة العطرة للشهيدة الفقيرة الخدامة... برجل بسيط فقير كان يعمل بائع سمك متجول كان يحمل على رأسه سلة كبيرة مملوءة بالأسماك يطوف بها شوارع وحواري قطاع كبير من حي شبرا والمناطق الفقيرة الملاصقة لها. ومن المعروف لدى الجميع أن باعة السمك المتجولين كانوا في معظمهم يتصفون بالفظاظة والمعاملات الشرسة، ناهيك عن لغتهم السوقية وألفاظهم النابية، فكان معظم الناس يتفادون الاحتكاك بهم بل يخافونهم. ولكن هذا الأخ سعد كان يبدو مختلفًا اختلافًا جذريًا.. فهو في هذا الوسط الصعب كان يحيا حياة مسيحية، يصلي كثيرًا وله علاقة حية بالمسيح يسوع. فكان إذا تكلم مع زبائنه فهو صادق لا يكذب، وديع لا يصيح وإذا باعهم شيئًا فهو أمين غاية في الأمانة.

كان العرف السائد في المعاملات هو كثرة الفصال والحلفان والأقسام المغلظة، ولكن الأخ سعد، كان يقول لزبائنه كلام مسيحي، كلمة واحدة. كان هذا التصرف المسيحي يبدو غريبًا على مسامع الناس ومعظمهم غير مسيحيين، ولكن مع مرور الوقت كان الكل يشهد أن الأخ سعد كان يتكلم بالصدق، والجميع يثقون في كلمته، فهو لا يغش ولا يغالي في السعر ولا يطمع في ربح قبيح ولا يشتم ولا يحلف... فكان إذا جاء إلى أحد الشوارع

يلتف الناس حوله، ويقبلون على الشراء منه بثقة عجيبة. فكان أنجح هؤلاء التجار البسطاء. وكان يبيع كل ماعنده في أقل وقت، وقنع

بربح بسيط ويحيا حياة هانئة في سلام مع ا   وسلام مع الناس.

على أن هذا الأخ المسيحي لم يقف عند حد المعاملة الطيبة مع الناس وكسب ثقتهم وكونه يربح من تجارته... بل كان كثيرًا مايتكلم عن المسيح مع المسيحيين وغيرالمسيحيين على حدٍ سواء، كلام بسيط ولكنه نابع من خبرة حب وحياة، وكان الناس إذا رأوا تصرفه الصادق كانوا يقبلون كلامه وكثيرون تغيروا بسبب صدق شهادة حياته لمخلصه وحبه لوصاياه.

قصة أخرى:

وقد ذكرني هذا بما قصّه ليّ أبونا ميخائيل ابراهيم- نيح ا   نفسه- أنه عندما كان يعمل موظفًا كان له زميل غير مسيحي معجب بفضائله وشخصه إذ كان ميخائيل أفندي في ذلك الوقت مثالاً صادقًا للحياة المسيحية، وشاهدًا أمينًا لمسيحه ومخلصه، فقال الصديق لميخائيل أفندي: أنت خسارة في المسيحيين. ويا ليتك كنت مسلمًا. فرد عليه ميخائيل أفندي قائلاً: ماذا ترى فيّ من أشياء تعجبك؟ فقال الرجل: أنت رجل صادق، أمين، مخاص، محب، طيب وفيك خصال جميلة، فقال له ميخائيل أفندي: تعرف يا أخي أن كل ما ترى فيّ أنا أستمده وأحصل عليه من المسيح، فإن تركت المسيح تركتني جميع الفضائل التي تراها فيّ.

هكذا كان الأخ سعد البسيط في عمله ومعرفته والفقير في منظره، كان في الحقيقة حاصلاً بالمسيح على غنى جزيل وكان يحلو له أن ينسب كل ما لديه إلى منبع الفضائل وواهب النعم فكان لسانه لا يكف عن الشهـادة للمسيح.

فعلمت أنه بالقليل وبالكثير يستطيع الرب أن يعمل وأنه "ليس بالقوة ولا بالقدرة بل بروحي قال رب الجنود، فالمسيح لا يترك نفسه بلا شاهد.

الأمانة في القليل

في بداية الستينات كانت كنيستنا في اسبورتنج تحتضن الشبان المغتربين الذين يدرسون في الجامعة وكان أبونا بيشوي يوليهم اهتمامًا خاصًا من جهة السكن والتدابير المعيشية ولا سيما المحتاجين منهم ويلحق الكثير منهم في الخدمة بمدارس الأحد ويعتبر أنه إذا رباهم في الروح فإنهم يكونون كالخميرة الصغيرة عندما يعودون إلى بلادهم أو حينما يتخرجون ليحيوا شهودًا، لعمل نعمة المسيح حيثما ذهبوا وقد بارك الرب هذا الفكر وجاءت ثمار هذه الخدمة وفيرة وغزيرة. وقد تكرس كثيرمن هؤلاء الشبان ومازال الكثير منهم يذكرون تلك الأيام بالخير.

من بين هؤلاء الشبان كان يوجد شاب في كلية الهندسة- قسم ميكانيكا- وكان هذا الشاب متدينًا عميقًا في تدينه مدققًا في سلوكه إلى درجة تفرح قلب ا . وكان يتتلمذ على بابا صادق، يذهب إليه بصفة منتظمة يسترشد بروحه، وينهل من فيض النعمة التي كانت تتدفق بغنى في تعليمه وكلمة الحياة التي كان ينطق بها.

كان هذا الأخ مجريًا من جهة الدراسة.،. فرغم أمانته في استذكار دروسه وحضوره المنتظم في الكليه إلا أنه كان غير موفق في الامتحانات، فتكرر رسوبه في السنة الثانية مرتين وأعطته الكلية فرصة أخيرة ليمتحن من الخارج. وفي مثل هذه الأحوال يفصل الطالب إذا رسب. فكان والحال كذلك في وضع حرج وكأن مستقبله مهدد وأمره كله معاق على نجاحه في هذه السنة، فإن نجح فإنه ينتقل إلى السنة الثالثة وينفتح أمامه باب المستقبل مشرق كمهندس مؤهل... وإن رسب فإنه يفصل من الكلية، ويحاول الالتحاق بإحدى الكليات الأدبية ليبدأ المشوار من جديد وتضيع عليه السنوات الخمس التي قضاها في كلية الهندسة. فكان جميع الأحباء في الكنيسة والزملاء يرثون لحاله ويطلبون لأجله ويشجعونه.

ولكن الحق يُقال أن هذا الأخ أظهر ثباتًا وشجاعة نادرة، إذ كان قلبه ثابتًا متكلاً على ا . فكان دائمًا بشوشًا، شاكرًا مُسلِمًا الأمر فى اتكال عجيب وهو يعمل بمثابرة بدون ارتباك وبدون أدنى يأس أوشكوى أوتذمر. وكان مسلكه هذا يثير العجب في كل رفقائه لأن روح الثقة والفرح الذي كان يستمده من حياته في المسيح كانت تطغي على تصرفاته، فكان مثلاً حيًا للنصرة على التجارب التي كان يتعرض لها السائرون في دروب الرب.

وفي أحد أيام الأمتحانات في آخر السنة.. خطر في بالي أن أفتقد هذا الأخ، أطمئن عليه وأشجعه... فذهبت إلى مسكنه، فاستقبلني كعادته بوجهه البشوش ومحبته المسيحية. جلسنا نتحدث عن أعمال ا ... وفتحنا الكتاب المقدمس كعادتنا وصلينا المزامير ثم سألته عن حال الامتحانات. فقص عليّ كيف تمجد ا معه في ذلك اليوم... قال: أنت تعرف الدكتور سرور- رئيس القسم- قلت: أعرفه... إذ كنت وقتها أعمل معيدًا في كلية الهندسة... فهو رجل طيب القلب، علمه غزير. وقد تتلمذ على يديه الآلاف من المهندسين والرجل مخوف ذو هيبة يخشاه الجميع، ليس الطلبة فقط بل والمدرسين والأساتذة أيضًا، وهو رغم طيبة قلبه لا يعمل حسابًا للألفاظ فقد يوبخ بشدة أويعلو صوته بصرامة. فكان كل واحد يعمل له ألف حساب. قلت له: هل كان عندك اليوم امتحان في مادة الدكتور سرور؟ قال نعم: وكيف الحال؟ قال: كان الامتحان غاية في الصعوبة ..انقبض قلبي عندما سمعت منه هذا الكلام، وقلت لنفسي مسكين هذا الأخ... قلت: أرجو بالرب أن تكون قد جاوت حسنًا، ومادام الامتحان صعب على الجميع فسوف يأخذ الدكتور هذا الأمر في الاعتبار: قال فعلاً هذا. قلت: كيف؟ قال: الدكتور كان هو رئيس اللجنة في المراقبة، فدخل ووجد الطلبة يشتكون من صعوبة الامتحان فكان يخرج هو والمراقبون

إلى خارج اللجنة بعض الوقت. فكان يتسنى للطلبة أن يسألوا بعضهم أو يتبادلوا المعلومات. وبعد قليل قال الدكتور: إيه يا أولاد مالكم. فقالوا الامتحان صعب جدًا يا دكتور، فقال: اتصرفوا بينكم وبين بعض. قلت: إلى هذا الحد سمح للطلبه قال: وأكثر من ذلك، فصارت اللجنة مثل السوق. قلت: وماذا فعلت؟ قال: أصدقك القول إنني حصرت ذهني على قدر ما استطعت ورحت أحاول في جميع المسائل وما استطعت أن أكتبه كتبته، ولم ألتفت يمينًا أويسارًا فضميري لا يسمح أن آخذ ما ليس لي. قلت: ثم ماذا حدث؟ قال: وقت الامتحان كان ثلاث ساعات، أما أنا فبعد ساعة وثلث الساعة كنت قد كتبت كل ما أعرف. وحاولت أن أتذكر كلمة واحدة فلم أستطع. كانت هذه هي كل قدرتي وكل ما أعرف. قلت: وبعدين، قال: شعرت أن جلوسي في اللجنة أصبح بلا قيمة بل أن روحي أصبحت غير مستريحة في هذا الجو. قمت لوقتي، وكان نصف الوقت تقريبًا. فلما رآنى الدكتور واقفًا ومتجهًا إليه لتسليم الورقة صاح في وجهي: رايح فين؟ قلت له: أنا خلصت. فأمسك الدكتور بالورقة وتصفحها كلها فرأى إجاباتي القاصرة ولا مسألة كاملة، والخطوات القليلة التي كتبتها لا ترقى إطلاقًا إلى درجة النجاح. فعاد الدكتور في نبرته الحاده يقول: ارجع كمل الإجابات. قلت: هذا كل ما أعرف يا دكتور. قال: ده مش حينجحك... ده ضعيف جدًا. قلت: ليس في ذهني أكثر من هذا وإلا فإنني كنت قد كتبت. قال الدكتور: ادخل اتصرف مع زملائك. قلت: مش قادر يا دكتور. صاح الدكتور بصوت أعلى: أنا بأقول لك غش. قلت: ضميري لا يستطيع. صدقني يا دكتور. فقال وهو يشتم: يا واد إنت منين؟ إنت أصلك إيه؟ قلت: أنا مسيحي يا بيه. قال: إلى هذا الحد ضميرك لا يسمح.. روح يا واد، وأقسم بحلف أنه من أجل أمانتك هذه لابد أن تنجح وعلّم على الورقة في الحل وأعطاني أعلى من درجة النجاح. وقبل أن تدخل الورقة الكنترول وتوزع للتصحيح نجحت. اقشعر جسدي وأنا أسمع

هذا الكلام، ومجدنا ا   العجيب الذي ينصف مختاريه، قمنا نصلي ونمجد ونسبح ونشكر.

وقد اجتاز هذا الأخ السنة بنجاح... وليس تلك السنة فقط، بل وصارت أمانته هذه هي العلامة المميزة لحياته على مدى السنين. فمبارك ا   الذي لا يخيب المتكلين عليه.

من قصص الأعاجيب في الأمانة في الامتحانات أيضًا ... قصة إحدى الطالبات، كانت تحيا بالأمانة منذ نعومة أظفارها. عاشتها في كنيستها التي ولدت فيها وفي بيتها وفي المحيط الذي نشأت فيه... فكان أي تصرف فيه شيء من عدم الأمانة يسبب لها ارتباكًا كبيرًا. حدثت هذه القصة وهي تؤدي أحد الامتحانات وكانت في السنة النهائية في إحدى كليات الطب بأمريكا.

استلمت ورقة الأسئلة وهي نفسها ورقة الإجابة، فطريقة الامتحانات في كثير من الأحوال تكون باختيار الإجابة الصحيحة على السؤال من ضمن عدة إجابات، فعلى الطالب أن يضع علامة أمام الإجابة الصحيحة. بدأت هذه الأخت في الإجابة. مئات الأسئلة موضوعة لوقت قصير... بالكاد يكفي لوقت الإجابة، الأمر يتطلب سرعة وتمرين إلى جانب القراءة الدقيقة والإلمام بالمعلومات. تأخذ مثل هذه الامتحانات تركيز مضاعف. بدأت كعادتها بالصلاة، وطلب الإرشاد من ا ، وطلب شفاعة القديسين الذين تحبهم وكانت توزع كل ورقة على أحد القديسين، وتطلب معونته. هكذا كان إيمانها وهكذا كانت في كل سنى دراستها وفي كل امتحاناتها. بدأت بسرعة وإتقان تضع العلامات على أسئلة الصفحة الأولى ثم الثانية وهكذا... الامتحان أكثر من مائتي سؤال.

بعد أن انتهت من أكثر من ثلاثة أرباع الامتحان، حانت منها لفتة إلى زميلة تجلس بجوارها تمتحن. فلمحت عينها العلامات الموضوعة في الصفحة الأولى من ورقة زميلتها، بحركة تلقائية بدأت تقارنها

بالإجابات التي أجابتها هي في ورقتها، وكانت المفاجأة مذهلة... السؤال الأول، الإجابة مختلفة وهكذا الثاني ثم الثالث إلى آخر الورقة. جميع إجاباتها مختلفة عن إجابات زميلتها، كيف يكون هذا!! ألعلها أخطأت في جميع الإجابات! زميلتها مجتهدة ودقيقة في إجابتها... ماذا يا رب؟ ماذا أفعل؟ هنا وجدت نفسها في تجربة صعبة.

جاءها فكر يقول لها اسرعي لتصليح الإجابات وغيّريها بحسب ما ترين في ورقة الزميلة، وجاء الجواب من داخلها ولكن هذا غش... وأنا لا أستطيع أن أفعله وجاء فكر آخر إن لم تفعلي ذلك فسوف ترسبي في الامتحان ودامت في تلك الأفكار إلى دقائق وهي في حيرة وارتباك... ولكنها لوقتها رجعت إلى نفسها ورشمت ذاتها بعلامة الصليب المحيي وتقوّت في داخلها بالإيمان وقالت لنفسها.. مالي وهذا الأمر... وللحال كفّت عينها عن النظر. وصممت في داخلها أن تسلك بالأمانة التي تعيشها متكلة على ا ورفضت الأفكار التي راودتها بصفة قاطعة وقالت أموت أمينة خير من أن أعيش غشاشة. سأجاوب بمجهودي وبمعرفتي بمعونة ا دون الالتجاء إلى هذا الأمر المشين حتى لو رسبت في الامتحان.

استرجعت قوتها وذاكرتها وأكملت الامتحان، وخرجت منتصرة على أفكار الشر ومشورة الخبيث، منحازة بكاملها لوصية إلهها أمينة في القليل، ومترجية مسيحها الذي أحبها. وخارج لجنة الامتحان قابلت زميلتها، حيتها وسألتها بلهفة كيف كان حال الامتحان؟ أجابتها زميلتها قائلة: كل شيء على ما يرام... سألتها كيف أجبتي على السؤال الأول؟ قالت: اخترت العبارة الأولى (A) قالت الأخت: لا بل العبارة الثالثة (C) فقالت الزميلة: كيف يكون هذا والسؤال يكون كذا وكذا؟ فصاحت الأخت قائلة: أي مادة كنت تمتحنين فيها قالت الزميلة: كنت أمتحن في ورقة التشريح.

وهنا كانت المفاجأة، فالأخت المباركة كانت تمتحن في الكيمياء

الحيوية بينما زميلتها تمتحن مادة التشريح. لقد كانتا تمتحنان مادتين مختلفتين. رجعت الأخت إلى نفسها وصرخت من أعماقها بالشكر الذي نجاها من تجربة مثل هذه. لأنها لو أطاعت هاتف الشر وغشت إجابات صاحبتها لرسبت لا محالة. وهكذا إذ تمسكت بأمانتها نجت نفسها من فخ الصياد. وقد أنجح الرب طريقها وجازت الامتحان بنجاح وهي تمجد صنيع الرب معها.

غير المستطاع لدى الناس

قد يصيبنا اليأس ونحن نواجه بعض مصاعب هذه الحياة، وحين يطبق الشيطان على النفس ويحكم قبضته، حينئذ يلجأ الإنسان إلى الحلول البشرية، أو يتهور ويتورط في قرارات قد تجلب عليه الشقاء مدى الحياة.

والسبيل الوحيد إلى الخلاص هو التمسك بشخص المسيح وحفظ وصاياه لكي يصل الإنسان إلى النهاية السعيدة حتى لو صار مرذولاً من الناس ولكن لن يخسر نصيبه السماوى وميراث القديسين في ملكوت المسيح.

ومن الأمور اليقينية أنه مع المسيح الإله لا يوجد مستحيل، وغير المستطاع لدى الناس مستطاع لديه وأنه يستطيع حين يريد أن يخرج من الآكل أُكلاً ومن الجافي حلاوة والأمر يحتاج إلى بساطة في الإيمان وثقة في القادر أن يخلص إلى التمام.

في أكتوبر 1977 وقبل سفري إلى أمريكا بأسبوعين جاءتني إحدى بناتي وهي خادمه في مدارس الأحد، تطلب مني أن أزور أسرة تمت لها بصلة قرابة. فاعتذرت لها بضيق وقتي لأن السفر المفاجيء سبّب لىّ ارتباكًا كبيرًا وتراكم أمور كثيرة تحتاج مني إلى تدبيرها قبل السفر علاوة على أمور الخدمة. فألحت علىّ قائلة ولو عشر دقائق في أي وقت، وقلت: وما هي الحاجة الشديدة لهذه الزيارة؟ ففاجأتني بأنها مشكلة قديمة بين رجل وزوجته انتهت بالطلاق منذ 13 سنة وأن الزوجة مقيمة

في بيت والدها هي وابنها وابنتها.

قلت: يا بنتي وأين أنت منذ سنين؟ ماذا أصنع الآن في زيارة قصيرة لمثل هذه المشكلة المستعصية؟ لقد فات أوان الكلام. قالت: لكن عندي إيمان أن ربنا ممكن يتدخل! خجلت من كلامها واقتطعت وقت في مساء يوم أربعاء، وذهبت لزيارة هذه الأسرة، كانوا كلهم في البيت.

قابلني رب البيت وهو رجل مسًن، صعيدي يعمل بالتجارة. قابلني بترحاب وعتاب كيف لم أزورهم من قبل، اعتذرت أني لم أكن أعرفهم ولم يبلغني أحد بعنوانهم، وجلسنا... فتحنا الكتاب المقدس وتحدثنا بكلمة الحياة وأعمال ا في قديسيه... وكان الكل في غاية التأثر والتجاوب مع الكلام.

ولما فرغنا من الحديث قال ليّ الرجل: الوقت قد أمسى فهل تسمح وتأكل معنا لقمة، قلت: نعم ممكن نأكل معًا لقمة محبة، لا أستطيع أن أصف الفرح الذي أظهره الرجل وهو غير مصدّق... وقامت الأم وابنتها يجهزون لقمة صيامي، بعض الفول المدمس والزيتون وبسرعة أعدوا المائدة. قال ليّ الرجل: تفضل بارك. فقلت: خيرًا وبركة ولكن قبل أن آكل ليّ كلمة معك. قال وهو خالي الذهن: تفضل وقُل. قلت له: لكل شيء تحت السماء وقت. هكذا قال الكتاب، فاليوم يوم خلاص والوقت وقت مقبول.

قال ليّ: ما هذا الكلام؟ قلت: لقد حان الوقت لعمل ا . سألني مستفهمًا: ما هو عمل ا ؟ قلت: السلام السمائي. قال ثانية: عما تتكلم يا أبي؟

قلت: لقد فعل الشيطان فعلته وعمل طوال هذه السنين، من بغضة وعراك وكلام بطال وأعمال ضد المحبة، وتحطيم الأسرة وهدم الأسرار، والآن وقت عمل ا ، فالمسيح له المجد بكلمة واحدة يهدم ما بناه الشيطان في سنوات لأن ابن ا جاء لينقض أعمال ابليس. فطن الرجل

أنني أطرق موضوع ابنته وقضية طلاقها من زوجها منذ 13 عامًا، فجاوبني بنغمة أسيفة ولكن قاطعة وقال: يا أبونا هذا أمر انتهى من زمان، وصفحة أُغلقت، ولا فائدة من مثل هذا الكلام... دعنا من هذه السيرة وتفضل كل لقمة معانا.

قلت: لا آكل إن لم تعطني كلمة.. قال: يا أبي ليس هكذا يكون الأمر، قلت له دون أن أدري: طيب علشان خاطر يسوع... ولست أستطيع أن أعبّر عن مدى التأثر البالغ الذي أصاب الرجل لدى سماعه هذه العبارة... كم انفعل وهو يقول: لماذا يا أبي تقول هذا الكلام؟ خاطره على رقبتي... خاطره على رقبتي، من أجل خاطره لو طلب لذبحت ابني... أنا ما استاهلش إني أعمل حاجة علشان خاطره... وبكى الرجل ومجرد بكاء رجل كبير- في بيت مثل هذا- شحن الجو كله تأثرًا وانسابت دموع غزيرة وكأن ريحًا قد هب فملأ البيت. صلينا بحرارة وشكرنا المسيح العامل في القلوب.

وقمنا تناولنا الطعام ببساطة قلب وفرح كثير وأكملنا حديثنا عن أعمال ا وقدرة المسيح الفائقة وسلطان المسيح الإله القادر على كل شيء. خرجت من هذا البيت المبارك وأنا في غاية التأثر... كيف أن النفوس البسيطة تستجيب هكذا لصوت الروح بلا عناد، وبمجرد ما يتحرك فيها هاتف الخير تتبعه متنازلة عن إرادتها. وتعجبت من كثيرون يتمسكون بإرادتهم ويتعصبون لآرائهم ويصرون على العداوة إلى النهاية. وحزنت بالأكثر على بيوت لا حصر لها انهدمت وأولادها تشردوا، وخسارة نفوس ما بعدها خسارة بسبب وبدون سبب. وكم من وعظ وإرشاد وكم من تذكير بإنجيل يسوع المسيح ووصاياه، وقلّ من يتجاوب. وتأسفت في قلبي على كمية القضايا المنظورة في المحاكم، لهدم السر المقدس وقطع رباط الزيجة الذي صنعه ا وقلت أين التمتع بهذا السر؟ أين إدراك سر المسيح والكنيسة؟ أين... وأين؟ وقلت لو يوجد هذا الإيمان

الطيب، ولو يوجد هذا الحب الطاغي للمسيح الذي مات عنا، لو توجد هذه الثقة في أعمال ا ... لو وجدت هذه العينات من الناس لما وجدت مشاكل ولما تفاقمت بهذا الحد.

في اليوم التالي ذهبت إلى بيت الزوج... وجدته إنسانًا بسيطًا... يعيش بمفرده في شقة صغيرة استأجرها لنفسه منذ أن عاش وحيدًا من 13 سنة، يخدم نفسه بنفسه، ويعمل في وظيفته ويدفع ما فرضته عليه المحكمة للأولاد، ويراهم حسب الأوقات المتاحة له دون مشاكل. جلست معه أتعرف عليه وعلى أحواله... ثم بلا مقدمات أخبرته بكل ما صنع بنا المسيح بالأمس... لم يصدق نفسه، وهو يقول مستحيل... مستحيل، ولكن طمأنته أن أعمال ا هكذا تكون... وصلينا معًا... كان في غاية التأثر. وقال ليّ لقد صليت كثيرًا من أجل أسرتي... وبكيت كثيرًا، وافتكرت أن ا نساني ولكن هيهات. الآن علمت بالأكثر أن الرب طيب وصالح وأن إلى الأبد رحمته.

اصطحبته معي إلى منزل والد زوجته... وبدون ميعاد ولا مقدمات دخلنا، وحالما دخل اندفع أولاده إليه ببكاء وهكذا زوجته... وانحنى وهو يبكي عند قدمي حماه، كوالده والرجل يرفعه ودموعه تجرى على خديه وهو يقول له يا ابني سامحني، وهو يقول أنا المخطيء... لم أر في حياتي مثل هذا المنظر المؤثر.

جلسنا ثانية نقرأ الحياة الأبدية والتعزية السماوية تغمرنا جميعًا، وصلينا بفرح.

ثم سألني الزوج والزوجة على انفراد ماذا سنفعل الآن؟ أولاً نحن مطلقين بحسب الأوراق الرسمية وماذا في نظر الكنيسة وا ؟ قلت: أنتم فارقتم بعضكم مجرد فراق لسبب أو لآخر من أسباب عدم الوفاق التي قد يزرعها عدو الخير ويهيج النفوس والمشاعر. ومعظم هذه الإمور تكون مبالغ فيها بسبب عمل الشيطان.

ولكن ربنا حفظكم من الزلل، فأنت زوج عشت وحيدًا ولم ترتبط بأحد لا بزواج ولا بخطايا غريبة، قال: إنني أشهد بذلك أمام ا ، وقلت للزوجة: وأنتِ كذلك إذ عشت في منزل والدك صرت بعيدة عن كل شبهات الخطايا ولم تطلبي زوجًا آخر ولا ارتبطت بأحد غير زوجك. إذن فهذه الفرقة ماذا يكون أثرها على رباط الزيجة المقدس؟ لا شيء على الاطلاق... فأنتم بحسب الكنيسة والرباط المقدس الروحاني زوجين ولا حاجة لكم إلى شيء سوى الصلاة والتوبة والاعتراف عن أزمنة الجهل والقضايا وعدم المحبة... أما أن نعيد لكم سر الزيجة والإكليل الطاهر فهذا غير وارد في قوانين البيعة.

اعطيتهم فترة من الأيام للصلاة لسبب ضيق وقتي، وجاءا واعترفا وناولتهما من الأسرار الإلهية وقرأت لهما التحاليل، ورجعا إلى منزلهما الذي كان مهجورًا معظم الوقت إلا في أوقات قليلة كانت الزوجة من حين لآخر تفتقد شقتها ربما كل شهر أو أكثر لأنها كانت تقيم في منزل والدها إقامة دائمة هي وأولادها.

ذهبت معهم إلى المنزل ورفعت البخور وصليت ورجوت لهما أيامًا مباركة من كل قلبي... وأوصيتهم بكثرة الصلاة والصوم والتناول من الأسرار. وقبل أن أسافر أوكلت أمر قضية الطلاق إلى أحد أحبائى من المحامين، وهو بدوره قام بعمله في إلغاء الطلاق... وكان لذلك في وسط المحامين والقضاة من المسيحيين صدى مذهل من هذه السابقة النادرة... وكانوا يتحدثون فيما بينهم، يمجدون ا القادرعلى كل شيء وأنه بالحق "غير المستطاع لدى الناس مستطاع لدى ا ".

شجاعة الشهداء

في نوفمبر 1975 وبالتحديد في يوم 16 من الشهر وهو عيد تكريس كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس باللد بفلسطين وهو يوافق أيضًا يوم

تكريس كنيستنا في اسبورتنج سنة 1968 بيد المتنيح طيب الذكر الأنبا مكسيموس مطران القليوبية السابق. في ذلك اليوم كنا نصلي القداس الإلهي في الصباح في احتفال مهيب وكان الأنبا مكسيموس يحب أن يحتفل معنا في هذا اليوم من كل سنة.

يومها وضع الشيطان في قلب أحد أعوانه أن يضع قنبلة في الدور الأول أسفل الكنيسة وثبتها في أسفل أحد المقاعد الخشبية وجعل المقعد في وضع مائل بحيث إن حرك أحد هذا المقعد إلى وضعه السليم تنفجرالقنبلة ولكن ا الرحوم صنع إحسانًا في ذلك اليوم، إذ اكتشفت القنبلة قبل أن تنفجر وبطريقة معجزية، ونجى الرب شعبه ببركة الذبيحة المقدسة وطلبات الشهيد البطل مارجرجس وكان يتحدث بهذا الأمر في مكان... وبطريقة فريدة أيضًا قُبض فيما بعد على الجاني ونال جزاءه في الأرض وفي السماء.

أذكر في ذلك اليوم أنه صار شعور عجيب في قلوب الشعب. لم يكن هناك اضطراب ولا حزن ولا خوف، شيء فائق للعقل! حتى أن الحضور إلى الكنيسة كاد يتضاعف بعد هذه المعجزة... وهنا تحققنا أن إيمان شعبنا صار مؤازرًا من ا ومن شأن مثل هذه الحوادث أن تقوى الإيمان وتشدد الأيادي المسترخية.

ومن أمثلة هذا الإيمان التي حُفرت في ذاكرتي من ذلك اليوم أن إحدى السيدات- وكانت تحيا حياة توبة قوية وشركة عميقة مع ا - وهي أم لبنتين وزوجة لرجل فاضل وهي متتلمذة بصدق لأبينا بيشوي ومتعلقة به إذ كان أنقذها من منحدر في بكور حياتها. وكانت تدين له بهذا ولاتنسى معروف الرب الذي أسداه إليها بواسطته.

رأيتها يومها بعد القداس مباشرة وقد عرفت بخبر القنبلة.. رأيتها تبكي بحرقة شديدة بدموع غزيرة جدًا... اقتربت إليها مستفسرًا، ماذا؟ هل أصابك سوء؟ ماذا بك؟ قالت وهي تكاد بالجهد أن تضبط دموعها... كنا

سنصير شهداء للمسيح في طرفة عين... خسارة كبيرة.

تعجبت جدًا وتأثرت كيف بلغ القلب إلى هذا الحب والبصيرة التي انفتحت على السماويات... وقلت في نفسي هل عاد عصرالشهداء محبي المسيح... هل عادت شهوة الشهادة للمسيح حتى الدم!

وتبينت بصدق أنه إن اشتعلت شهوة الملكوت في القلب لحببت الإنسان التألم على التنعم ولأقبلت النفس على حمل الصليب بكل فرح ورضى... والعكس إن خلا القلب من شعلة الإيمان هذه صار يلتمس مخرجًا حتى لو أنكر الإيمان... وطلبت إلى ا من كل قلبي أن يجعل هذه الشعلة دائمة في كنيسته وهو قادر لأنه هو الذي قال "جئت لألقي نارًا على الأرض ولست أريد إلا أن تضطرم".

في ذات اليوم وفي فناء الكنيسة وكان ذلك أيضًا عقب القداس الإلهى وكان الخبر قد بلغ وكيل البطريركية وهو بدوره أبلغ المسئولين فانتقلوا على الفور إلى الكنيسة، فامتلأ فناء الكنيسة من الضباط ورجال الأمن والنيابة... شيء كثير جدًا.

وإذا بسيدة أخرى وهي نازلة من سلم الكنيسة وجدت أمامها ضابط برتبة كبيرة فصاحت تقول "أبواب الجحيم لن تقوى عليها"، فالتفت الرجل إليها ولم يفهم ماذا تقول، واستفسر منها عما تقول! فراحت تفسّر له الآية، أن الكنيسة مبنية على صخر الدهور وأن عريسها حي، وأن وعده قائم إلى أبد الدهور وأن السماء والأرض تزولان ولكن وعد المسيح لا يزول، وقتها التفت إلى هذا المنظر وتعجبت لأني أعرف هذه السيدة معرفة قوية وهي وديعة جدًا وذات طابع ملائكي، لم أسمعها أبدًا تصيح أو تغضب وكنت لا أصدق نفسي كيف أن سيدة مثل هذه حازت شجاعة وعدم خوف هكذا وكيف أنطقها الروح كلمات شهادة للمسيح يعجز اللسان العادي عن النطق بها.

غفران عجيب

عندما تعمل نعمة المسيح في إنسان، فإنه بالنعمة يتخطى حدود الطبيعة ويغلب حركاتها المغروسة فينا، فمعروت أن الغيرة الطبيعية في الإنسان شيء غريزي. فسفر الأمثال يقود الجهال ويحكم العميان في طريق الحكمة قائلاً: "إنه بسبب امرأة زانية يفتقر المرء إلى رغيف خبز، وامرأة رجل آخر تقتنص النفس الكريمة... أيأخذ إنسان نارًا في حضنه ولا تحترق ثيابه... هكذا كل من يدخل على امرأة صاحبه. كل من يمسها لا يكون بريئًا".

"أما الزاني بامرأة فعديم العقل المهلك نفسه، هو بفعله ضربًا وخزيًا يجد وعارًا لا يمحى. لأن الغيرة هي حمية الرجل فلا يشفق في يوم الانتقام. لا ينظر إلى فدية ما ولا يرضى ولو أكثرت الرشوة".

فالرجل الذي يغارعلى امرأته إن وجدت في حال الخطيئة ومن الغيرة ارتكب ما يعاقب عليه فإن محاكم العالم تلتمس له عذرًا، إذ يكون في غالب الأحيان قد خرج عن وعيه وطار صوابه.

على أن التاريخ الكنسي يسجل للقديس بولس البسيط تلميذ أنبا أنطونيوس موقفه الفريد عندما جُرب في امرأته إذ وجدها في ذات الفعل، فنصحها بوداعة ولكنها عادت إلى فعلتها فتركها في هدوء عجيب واتجه إلى القديس أنطونيوس وترهب عنده عائشًا في نسك وزهد منقطع النظير حتى فاق من سبقوه في هذا المجال.

على أن ا   لا يترك نفسه بلا شاهد بل في كل جيل يوجد من آزرته النعمة ليتخطى حدود الطبيعة كما قلنا، فقد عاصرت في أواخر الستينات وكنا في كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس باسبورتنج، وكانت الحياة الروحية هي الشغل الشاغل للكثيرين من شعب الكنيسة وكنا نعيش أيام نهضة روحية حقيقية قوامها الصلاة السهـر والصوم وحفظ الطهارة والمحبة والسعي لحفظ وصايا الرب يسوع.

كنا باالكنيسة في ساعة الظهيرة مع أبونا بشوي وكنيستنا باسبورتنج لا تغلق أبوابها نهارًا وليلاً، دائمًا مفتوحة وهي مثل عش العصفور وبيت اليمامة، يهرب إليها كل من يلتمس معونة أو سترًا، أو راحة من العناء الذي في العالم.

داف إلى أبواب الكنيسة رجل تقي معروف لدينا، دّيّن ومتواضع القلب، رجل سلامي لا يسمع له صوت بل هو معروف بوداعته وصوته الخفيض. دخل وهو يمسك بيد زوجته وهي في الثلاثينات من عمرها وكان الرجل يكبرها ربما بعشر سنوات، ولم يكن الرجل على عادته من البشاشة بل كان وجهه مكمدًا مكفهرًا يكاد الدم ينفجر من وجهه، ولم تكن المرأة في حال أحسن.. كان منظرها يثير المخاوف، انتحى أبونا بيشوي بالرجل حالما رآه، لم يستطع الرجل أن يكتم حاله أوحتى يتكلم بهدوء أوبصوت خفيض، صار يصرخ ويقول... ارحمني يارب، ارحمني يا أبونا بيشوي.. ساعدها... أنا لا أريدها أن تهلك... خلصها من خطيتها، لقد رأيتها بعيني، أنا لم آتى لأنتقم ولا لأشكو... أتيت إليك لتقودها للتوبة.

كان الرجل يبكي... وكاد يسقط إلى الأرض...احتضنه أبونا بيشوي بأبوة عجيبة وهو يكاد يبكي، ولكن أبونا في مثل هذه المواقف كان الرب يؤازره بقوة وشجاعة نادرة فتمالك نفسه وهو يعزيه بكلام طيب.

ولن أنسى في حياتي منظر أبونا وهو فى صحن الكنيسة إذ التفت إلى ناحية الهيكل، ورفع كلتا يديه وصرخ بصوت جهورى وقال للرجل: المسيح إلهى لا يكتب عليك خطية بل يسامحك ويحاللك مع جميع خطاياك. كان هذا المسلك الفائق من هذا الرجل التقي سبب خلاص لامرأته فقد تعهدها أبونا بعناية خاصة ولم يزل يشددها حتى تقّوت ورفضت من قلبها مشورة العدو.

وكم غّيرت التوبة من نفوس وكم ولدت من جديد وكم جددت من خطاة فصاروا بالنعمة أنموذج لقدرة المسيح مخلصنا القادر أن يبرر

الفاجر.

بساطة وإيمان

في منتصف الستينات كان أحد الخدام بالكنيسة يواظب على اجتماع الخدام وفي كثير من الأحيان كان يحضر معه والدته المسنّة، وكانت سيدة متقدمة في أيام نعمة وحياة بساطة يندر وجودها. وكنا كشبان بالكنيسة نحب أن نراها ونتمتع بدعواتها الطيبة وكلماتها البسيطة العميقة، سألتها مرة وهي كانت دائمًا تقول "مفيش صلاة زي صلاة القداس، فقلت لها بفضول: ماذا يعجبك في صلاة القداس؟ قالت: كل كلمة... كفاية لما أبونا يقول "يا محب البشر" الواحد يدوب لما يسمعها. بكت نفسي ساعتها وقلت حقًا إن البسطاء يسبقون الكثيرين ممن يدّعون العلم أو الحكمة أو المعرفة.

قال أخونا الخادم أنه اشترى ريكوردر صغير، كان يعتبر في أيامها شيئًا نادرًا. ثم ذهب إلى البيت ووضع شريطًا للقداس الإلهي... بينما جلس هو ليكمل بعض الأعمال... ثم التفت وإذا السيدة والدته واقفة كأنها داخل الكنيسة في حال الصلاة فضحك في نفسه وقال لها: يا أمي هذا مجرد تسجيل فقاطعته في الكلام قائلة: اسكت يا ابني دي صلاة القداس... قال: نعم يا أمي ولكننا لسنا في الكنيسة ولا يوجد كاهن ولا ذبيحه ولكنها رفضت هذا الكلام وأصرت أن تظل واقفة وعبثًا حاول أن يجلسها... فكان لا يفعل هذا في البيت مرة أخرى لأنه في أي وقت تسمع صوت صلاة القداس تقف بخشوع ولاترضى أن تجلس على الإطلاق.

ورغم أنه قد مرّ مايقرب من خمسة وثلاثين سنة على هذا الكلام إلا أنني أتذكره كلما رأيت كثيرًا من الناس يديرون التسجيل ليسمعوا صلوات القداس الإلهي سواء في البيوت أو السيارات أو ربما في الأماكن العامة، وأندهش لقلة الإنصات، أوالانتباه فتجدهم منهمكين فيما يفعلونه، وقد أعتادوا على أن يسمعوها فقدت معناها وتأثيرها، وقد أصبحت بالنسبة

لهم كالموسيقى التي تُدارفي المحلات العامة ولا ينصت إليها أحد ولكنها مجرد خلفية موسيقية لزحام الناس وكثرة الأصوات.

بينما لا أنكر أن البعض لا يزال يتعزى بسماع الصلوات ويجني فائدة حقيقية فالأمر يتوقف على استعداد الإنسان وحرصه.

أعرف أحباء ليّ كانوا قد تغربوا في بلاد السعودية حيث لا كنيسة ولا قداس... وكانوا قد أخذوا معهم بعض أشرطة الكاسيت وفيها تسجيل للقداس الإلهي... فكانوا في أيام الآحاد والجمع، يقف الرجل وهو إنسان متدين تقي ويشغل مركزًا أدبيًا عاليًا... وزوجته سيدة فاضلة محبة للمسيح، كانا يديران جهاز التسجيل في حجرة من المنزل ويقفان بخشوع إلى نهاية الصلوات وكأنهما في داخل الكنيسة وكانا يتعزيان بصلوات ودموع الأشواق الروحية... وكان هذا بالنسبة لهم أبسط تعويض في أرض الغربة يعبرعن مدى الحنين الذي يلتهب به قلبيهما نحو الكنيسة.

المثال المسيحي

ما أحوج العالم اليوم للمثال المسيحي، فقد بات العالم معتازًا، كفقيرمعدم من جهة كل ما هو روحي وكل ما هو فاضل وطاهر، لقد عصف مرض الخطية بالعالم يكاد يجهز عليه، حتى رؤساء دول ومعتبرين ينظر إليهم الناس كمثل عليا، اهتزت بهم الكراسي وسقطوا في أشنع الخطايا من نصب وكذب وزنى، ولسان حال عامة الناس يقول إن كان رب البيت بالدف ضاربًا فلا تستكثر على أهل البيت باقي أدناس الخطايا، لذلك انحل العالم بالشهوات وأصبحت المثل العليا في كتب التاريخ وفي سير الأفاضل الذين رحلوا عن هذا العالم. فإن وجد في هذا الجو من يشهد للمسيح بكمال السيرة فإنه يصيرعزيزًا جدًا في عينيّ ا وفي عيني الناس.

ولسنا بذلك نظلم أيامنا، ولكن نقول أن ندرة المثال المسيحي الحي حتى في وسط المشتغلين بالدين أو المترددين على الكنائس أصبحت

ظاهرة عامة في كل الأوساط فالكلام والكتب ما أكثرها والحياة بحسب المسيح ما أندرها- ولكن الرب لا ولم يترك نفسه بلا شاهد- فهي وإن كانت نادرة لكنها متواجدة حية شاهدة على فجور العالم وعواصف الشهوات وهى وإن كانت نادرة لكنها أمينة صامدة ضد هذا التيار الجارف.

من أمثلة الأمانة العجيبة والتدقيق ما رأيته في أحد الأساتذة في كلية العلوم وهو رجل كان مشهودًا له بعلمه في كل الأوساط ومعروفًا بأدبه الجم وخلقه الكريم، شخصية مسيحية بالدرجة الأولى، لم ينطق لسانه كلمة نابية ولم يعرفه أحد إلا جادًا وديعًا مجاملاً محتملاً... ولم يره أحد قط غاضبًا أو رافعًا صوته... كان بين الكل كرائحة زكية وكانت حياته كجدول مياه يجرى في هدوء، يروى ويسقي والكل ينعم به.

كانت هذه السيرة الحية سبب حياة كثيرين، جذبت نفوسًا متغربة كان في حكمة وبساطة ينصح تلاميذه للحياة الأفضل وكان سلوكه أكبر شاهد يثبت قوله ويؤازره صدق كلامه.

جاءني في بداية السبعينات- شاب في العشرينات من عمره- كان يسكن بجوارا الكنيسة ولكنه كان بعيدًا عنها في ذات الوقت. تعب معه خدام كثيرون وعبثًا حاولوا أن يردوه عن طريق غيّه... زاره أبونا بيشوي مرات، وكان الشاب يراوغ، ويعد ولا يفي وأخيرًا كان يتهرب من أبونا بيشوي... وفي مثل هذه الحالات كان أبونا يلجأ للصلاة التي كانت تقتدر كثيرًا.

جاءني الشاب وكنت قد انتهيت من اجتماع الشباب وجلست أتلقى الاعترافات وجلس إلى جواري وقال: أنا أريد أن أتوب. كم فرحت لمجرد رؤية هذا الشاب راجعًا، ونيته الصادقة للتوبة وتغييرالحياة. قال: منذ أيام أقلعت عن التدخين، وتركت كل رفقة السوء، بنية صادقة وعزم أكيد، وأرجوك أن تساعدني في أسمه طريق توبتي... علمني كيف أقرأ

الإنجيل وعلمني أن صلي.

وبعد أن سمعت اعترافًا صادقًا بدموع غزيرة وقرأت له التحليل، وأنا في غاية التأثر سألته من باب الفضول ماذا دفعك بهذا الدافع القوي لبداية الحياة من المسيح، هل سمعت عظة مؤثرة؟ قال: لا... هل ذهبت إلى أحد الأديرة أوتقابلت مع أحد الآباء؟ قال: لا. هل سمعت عن مرض أحد أو فقد أحد الأحباء؟ قال لا قلت ماذا إذن؟ قال: منذ بداية السنة الدراسية والأستاذ الدكتور فلان يدرس لنا، وقد أسرني أنا وغيري بأخلاقه العالية وكنا جميعًا نجل الرجل ونحترمه. ومنذ أيام وفي أثناء المحاضرة، لفت الأستاذ نظر أحد الطلبة أن ينتبه، وهذا الطالب بالذات شاذ في سلوكه عنيف غاية العنف ومتعصب جدًا وكل واحد يتجنب الاحتكاك به أوحتى الاقتراب منه... وكان الأستاذ يتكلم إليه بلطف شديد وأسلوب مهذب... ونفاجأ ببركان ثائر من الطالب غير المهذب، انهال على الأستاذ سبابًا وشتائم، وبأسلوب غبي تطاول على المسيحية، وحوّل الأمر بدون مقدمات إلى احتكاك ديني... شيء مذهل كهرب جو المدرج كله والدكتور واقف صامت، لم تتغير ملامح وجهه ولا اضطرب من الشتائم ولم يعلق بكلمة واحدة، بل في هدوء عجيب قابل هذا الهيجان المضطرب،.. هاج المدرج، صياح هنا وهناك وطلبة مسلمين قاموا يعارضون الطالب وكادوا يشتبكون بالأيادى... وهنا وجدت الدكتور يمسك بالميكروفون وفي حزم جاد أعاد السكون للمدرج.

ثم قال مخاطبًا الطالب... يا ابني أنا متأسف إذا كنت قد أزعجتك حين لفت نظرك إلى الانتباه إلى المحاضرة... ولكن صدقني انا أقصد مصلحتك. أما أنا كوالد فلابد أن أحتمل أولادي حتى في ساعات الغضب، وما يربطني بكم هو رباط أب لأولاده أكثر من رباط محاضر وتلاميذ وأنا من حقي كأستاذ أن أحاكمك على هذا الفعل وأستطيع ذلك وأكثر ولكن من واجبي كأب أن أحتملك وأغفر لك، وأنا أحب أن أكون أبًا أكثر

من أن أكون أستاذًا.. وأرجو عدم التعليق على هذا الأمر...

ولدهشة الجميع وجدنا هذا الطالب يجري نحو الأستاذ ويحاول أن يقبّل قدمه ويقول: سامحني يادكتور أنا غلطان وأنت ماتستاهلش شيء وحش. وأقامه الدكتورمحتضنًا إياه يقبله ويقول كلكم أولادي وأنا باحبكم ودوى المدرج بالتصفيق... وأكمل الأستاذ المحاضرة بعد أن ترك فينا أثرًا عميقًا. ساعتها قلت في نفسي هذه هي الحياة الفضلى وأنا لابد أن أعيشها، هذه هي الحياة بالمسيح وغيرها لا يسمى حياة... ومن ساعتها عزمت على الحياة بالمسيح وقررت التوبة والاعتراف إذ عاينت قوة الحياة المسيحية وكيف تتغلب على شر الأشرار.

قلت له يا ابني هكذا الشهداء الأبرار شهود المسيحية كانوا يجتذبون بصبرهم على الآلام وغفرانهم حتى للذين عذبوهم وآذوهم. كانوا يحوّلون الوثنيين إلى الإيمان بالمسيح. فما أقوى حياة الشهادة للمسيح وما أعظم أثرها.

وقد عاش هذا الرجل البار مشهودًا له في جيله، أي من الكنيسة ومن الذين هم من خارج... وقد أكمل سعيه الصالح عائشًا بالكمال المسيحي وكان بيته بالحق كنيسة مقدسة هو وزجته كانا بارين ولم يكن لهما ولد... ولما رقد في الرب وكنا في بيته قال ليّ أحد زملائه الأقربين الذين عاشوا معه بصلة روحية وصداقة مسيحية، قال ليّ أنه- رحمه ا - كان ينتدب إلى القاهرة ليدرس لطلبة الدراسات العليا، فكان مرات كثيرة يسافر إلى القاهرة ولا يجد الطلبة موجودين لكثرة مشاغلهم أو لعدم إمكانهم الحضور لسبب من الأسباب فكان يعود راجعًا إلى الإسكندرية، وكان يرفض تمامًا أن يتقاضى أجرًا عن هذه الأوقات... وكان رئيس القسم يلح عليه أن يكتب هذه الأوقات في الإستمارة ويقول له أنت ذهبت وضيعت الوقت وسافرت وصرفت مصاريف السفر والانتقال للقاهرة ومن حقك أن تتقاضى أجرك لأنه ليس ذنبك أن الطلبة لم يحضروا... فكان

يرفض بإصرار ويقول أن لم أدرس ولم أعط المادة ولم أتعب التعب الذي أتقاضى عنه أجري... فكان رئيس القسم والأساتذة زملاؤه يتعجبون من مثل هذه الأمانة العجيبة والضمير المدقق الذي عاش به هذا البار.

وكان جميع أخوانه وزملائه يذكرونه كمثل للكمال وللخلق الفريد، وكان إذا مدحوه يقول: بل أنا إنسان غلبان؟ أسعى نحو الكمال ولكني لم أدركه بعد.

وقد تأثر بحياته كثيرون من الذين تتلمذوا عليه وكانوا يجاهدون لكي يحيوا مثل هذه الحياة الجذابة التي تفوح منها رائحة المسيح الزكية.

لا تغرب الشمس على غيظكم

استصحبني المتنيح القمص متياس روفائيل في أثناء رحلة بصعيد مصر كنا فيها معًا لأمور تخص الكنيسة في سنة 1972، وفي طريق عودتنا زرنا قرية دير النغاميش... وهي قرية كل سكانها أقارب وهي مسقط رأس البابا يوساب الثاني وأقاربه من الكهنة والرهبان... وجو القرية يوحي بالبساطة الشديدة والمحبة والحياة المسيحية فيها كأنها بكر لم يفسد العالم نضارتها وبلا علم وبلا فلسفة فإنهم يمارسون الفضائل المسيحية إذ يتسلمها جيل الصغار عن آبائهم بلا تكلف.

وفيما نحن نخطو في درب صغير ينتهي بمنزل الأسرة التي نشأ فيها أبينا متياس روفائيل- نيح ا نفسه- بدأ يحكي ليّ عن أقاربه وجده القس بطرس وأعمامه... ومن النوادر التي أذكرها أن اثنين من أولاد العمومة وكانوا وقتذاك في الخمسينات من عمرهما وكانا معتبرين من المتقدمين في العائلة... بينما هما في الحقل خارج القرية وفي عصر يوم من الأيام حدثت بينهما مناقشة كلامية ناتجة عن سوء فهم وتغاضبا بصياح...

فترك أحدهما الآخر ورجع إلى القرية... كانا هما منفردان في الحقل لم يكن أحد معهما.. وكأن الأمر بينهما قد انتهى بنهاية هذه المناقشة

وكأن شيئًا لم يكن، إذ أن الموضوع الذي كانا يتناقشان حوله موضوع تافه.

وبعد ساعة من هذا الأمر جاء الرجل الذي ترك ابن عمه وعاد إلى القرية إلى بيت ابن عمه ونادى قائلاً: سلام... هل فلان هنا؟ فرد عليه من فى البيت: لا يا عم... فلان مازال في الحقل تفضل قال: لا متشكر. وعاد راجعًا وبعدها بعشر دقائق أو ربع ساعة، عاد يقول: إيه فلان لم يأتِ بعد؟ قالوا له: لا.. لم يأت بعد، تفضل... لماذا؟... فنظر إلى فوق نحو السماء... وقال: لا معلهش... آجى مرة أخرى.

وتكرر هذا الأمر أربع أو خمس مرات خلال الساعة... حتى تعجب أهل البيت وقالوا ماذا في الأمر، ليس من عادتك أن تفعل هذا. وكان الرجل قلقًا جدًا وكلما لا يجد ابن عمه قد رجع، ينظر إلى السماء وقد بدت عليه علامات القلق. ولما وجده قد تأخر هكذا... أسرع متجهًا نحو الطريق خارج القرية الذي يؤدي إلى الحقل... كانت الشمس قد قاربت على المغيب وكان الرجل يركُض وهو شيخ مسّن وهناك في الطريق وجد ابن عمه راجعًا... فلاقاه ووقع على عنقه مقبلاً إياه طالبًا السماح... وكان ابن عمه يقول بل أنا يا أخي المخطيء إليك وأنت تأتي إلىّ... فكان يقول بل أنا أخطأت أنا رفعت صوتي... سامحني... خشيت أن تغرب الشمس. أنا قد أحزنتك... والرب قال: "لا تغرب الشمس على غيظكم".

ولما عرفت القصة بأكملها علم الكل أن الرجل كان قلقًا لئلا تغرب الشمس وهو يشعر أنه قد كدّر أخيه... إلى هذا الحد كانوا يعيشون الإنجيل بالروح والنص معًا في بساطة متناهية وتدقيق مذهل للعقل.

فلما سمعت هذه القصة تأسفت في نفسي على ما أرى وما أسمع كل يوم من مشاحنات ومخاصمات بل ومحاكم وبغضة وفرقة، بل حتى الإيذاء، كيف يعيش الإنسان المسيحي في عداوة؟ وهو تلميذ المحبة! كيف

يستطيع أن يبغض إنسانًا أو يحتد على أحد؟ بل والأدهى كيف يدوم في العداوة لا أيامًا بل سنين؟ وقلت إننا عدمنا الحياة المسيحية برمتها.

وحين حفظ هؤلاء المحبة... عرف الجميع أنهم تلاميذ الرب بحسب قوله "بهذا يعرف الناس أنكم تلاميذي إذا كان لكم حب بعضكم لبعض".

إن مثلاً واحدًا من هذه الأمثلة الشاهدة للمسيح لهو أبلغ من مئات العظات وآلاف الكتب. لأنه ليس بعد شهادة الحياة شهادة وليس أقوى من حفظ وصايا المسيح قوة في الحياة.

يا رب انعم على أولادك بنعمة السلام القائم على المحبة الحقيقية واحفظهم من البغضة والانقسام وكل ما هو ضدك أيها الحب الإلهي الدائم إلى الأبد.

المعمودية المقدسة

في يوم من أيام الآحاد سنة 1967 بعد نهاية القداس الإلهي ونحن نصرف الشعب، وإذا بسيدة فقيرة تحمل طفلاً صغيرًا، تقدمت وطلبت من أبونا بيشوي كامل أن يعمد لها الطفل لأنه مريض وهي تخشى أن يموت دون عماد.

كان أبونا بيشوي يومها يحمل الأسرار المقدسة وهو ذاهب ليناول مريضًا في إحدى المستشفيات. التفت إليّ أبونا بيشوي وقال للمرأة أبونا ممكن يعمده.. نظرت إلى الطفل الذي تحمله وإذا هو شبه ميت، لونه أصفر مائل إلى الزرقة وعيناه مغمضتان متورمتان ويتنفس بصعوبة بالغة.. والحق يقال أنني خفت وخشيت أن أعمد مثل هذا الطفل، فإن كان وهوعلى هذه الحال يتنفس هكذا بصعوبة، فماذا يكون الحال عندما يغطس تمامًا في ماء المعمودية؟ وتخيلت أنه يموت بين يدى... فقلت لأبينا بيشوي: أنا لا أستطيع، فالطفل سوف لا يحتمل، وأنا خائف.

ساعتها كان يقف بيننا شماس صغير، وكان منصتًا لما يدور بيننا

فهتف الشماس قائلاً: "هو حد بيموت من المعمودية؟" فالتفت أبونا بيشوى إلى الشماس ثم استدار فقال ليّ: عمده على إيمان الولد ده إذا كنت خائف. وتركني ومضى إلى المستشفى لكي يناول المريض المنتظر هناك.

ذهبت إلى حجرة المعمودية مرغمًا، وصليت على الطفل، وكنت بين الحين والآخر أنظر إليه، هل هو حي بعد؟... انتهيت من الصلوات، وكنت في داخلي أصلي من أجل أن يعطيني الرب هذا الإيمان ويطرد عني الخوف.

بعد جحد الشيطان، ثم الإقرار بالإيمان بالمسيح، دهنت الطفل بزيت الغليلاون وأكملت الصلوات المكتوبة. ثم أخذت الطفل من يد أمه بحرص شديد وأنزلته في المعمودية وأنا أقول أعمدك يا... باسم الآب رالإبن والروح القدس، ثم غطسته بسرعة في الماء المقدس وانتشلته، وأنا أقول لنفسي هل مازال حيًا؟ هل فيه نفس؟ وإذ رأيته يشهق ثم تنفس كم شكرت ا .

دهنته بالميرون المقدس، بعد أن ألبسته ملابس المعمودية، ثم شددته بالزنار وطاف به الشمامسة البيعة المقدسة ثم حللنا الزنار، وقرأت لها الوصية وصرفتها بسلام وقلت لها في أول قداس ممكن يتناول إذا عاش!

عاد بعدها أبونا بيشوي وسألني: هل عمدت الطفل؟ قلت: نعم، إنها أول خبرة ليّ مع مثل هذه الحالات، وقلت له سامحني فأنا كنت في خوف لئلا يموت الولد في يدي ولا يحتمل أن يغطس في ماء المعمودية. طمأنني أبونا بيشوي وقال لابد أن يكون لنا نحن الكهنة إيمان عميق وقوي بفاعلية الأسرار الإلهية... أليست المعمودية هي القيامة... فنحن ندفن في المعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات نقوم نحن في الحياة الجديدة.

ثم قص ليّ قصة أنه في أيام خدمته الأولى وكان يعمد طفلة

لأسرة غنية وفي أثناء الصلوات قبل المعمودية حضرت امرإة فقيرة تحمل طفلاً صغيرًا، وقالت ممكن أعمد ابني فقال لها أبونا ممكن وأكمل الصلوات للطفلين، ولماخلعت المرأة الفقيرة ملابس ابنها وإذ جسمه مملوء دمامل، فتأففت الأم الغنية من المنظر وقالت لأبونا... لا يمكن أن أعمد ابنتي مع هذا الطفل لئلا يصيبها هذا المرض، فحاول أبونا اقناعها أن الأسرار المقدسة فيها قوة إلهية فائقة... فلم تقتنع وأصرت أن ابنتها تنزل المعمودية أولاً.

لم يرد أبونا أن يؤزم الموقف، لضيق الوقت، لأنه كان قبل القداس، ولا يتسع الوقت لكثرة الجدال... فعمد البنت أولاً ثم الولد الفقير، وهو يتأسف في نفسه على قلة الإيمان والنظرة المادية للأسرار. وفي الأسبوع التالي حضرت المرأة الفقيرة مع طفلها وقد تعافى تمامًا، بينما كانت الأم الغنية تشتكي أن صحة ابنتها ليست على ما يرام... فأراها أبونا الطفل الفقير وقال لها: لقلة إيماننا نحن لا نحصل على كثيرمن النعم، وقادها إلى التوبة وتقوى إيمانها وكانت دائمًا تذكر هذه الحادثة لكثيرين وهي تمجد ا .

سمعت هذا الكلام وتأثرت وكنت أنتظرحتى أرى الطفل الذي عمدته ترى ماذا حدث له. لا أذكرأنني أخذت عنوان السيدة الفقيرة فهي غالبًا من الحضرة أو عزبة المطار، ولا أذكرحتى اسمها... وسألت أبونا بيشوي فقال إنه لا يعرفها.

مضت عدة أسابيع، وفي يوم أحد بعد القداس إذ السيدة الفقيرة أمامي فأسرعت إليها أسأل كيف حال طفالك؟ فأشارت باصبعها، فنظرت إذ الطفل يحبو في أرض الكنيسة، وجهه مشرق ومكتمل الصحة... حملته بين ذراعي وكنت أقبله وأنا غير مصدق من الفرح، لقد تبدل الإنسان الميت وصارت فيه قوة حياة جديدة.

الصلاة الدائمة

صلوا كل حين... صلوا بلا انقطاع.. كانت هذه الآيات هي محور الحياة في قصة السائح الروسي... الذي قضى العمر كله في هذا الاختبار العجيب إذ صارت حياته كلها صلاة وصلاته كلها حياة... فلا فصل بين الحياة والصلاة 000"أما أنا فصلاة" وقد ساعد السائح في هذا المجال أقوال الآباء الكبار قديسى البرية الذين كرسوا حياتهم في اختبار الصلاة وقد دوّنوا أقوالهم الحية في كتاب الفيلوكاليا. وهو من الكتب الروحية التي ترجم أبونا بيشوي كامل جزءاً منه.

على أننا في حياتنا وسعينا في العالم قد لا نحرم من هذه المتعة إذ صار فينا هذا الاشتياق إذا أخلصنا في التدرب على حياة الصلاة، وهذا ليس مستحيلاً بل يحتاج إخلاص وصبر وممارسة. وقد كان أبونا بيشوي يعطي أولاده في الاعتراف تداريب على الصلاة الدائمة مثل صلاة يسوع... ويحبب إليهم النطق بالإسم الغالي كثيرًا ومناداة اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح... أو صلاة اللهم التفت إلى معونتي... وكان يسميه مزمور النجدة وكان يسمي هذه الصلوات الصلاة السهميه.. أي أنها صلاة قصيرة ولكنها فعالة كالسهم السريع الحاد.

وقد تدرب كثيرون من كل فئات الشعب إذ وجدوا في اسم الرب يسوع فعلاً برجًا حصينًا يركض إليه الصديق ويتمنع.

ومن المواقف التي لا تُنسى أذكر أننا كنا سويًا في سيارته ونحن في بعض الزيارات في منطقة الكنيسة، وفجأة قال لي: هلم فأريك منظرًا جميلاً، قلت له: أين؟ فأوقف سيارته، ثم أشار بيده إلى إحدى العمارات وقال: انظر إلى البواب... فلان هل تعرفه؟ قلت: نعم أعرفه... قال: هل ترى ماذا يفعل؟ فلما حققت النظر، وجدت البواب جالسًا أمام العمارة مطرقًا برأسه إلى أسفل، فقلت لأبونا ماذا يفعل؟ قال لي إنه يصلي... لقد تعلم الصلاة بالأجبية وهو يواظب عليها طول النهار والليل، يجلس أمام

باب العمارة يصلي ولاينشغل بشيء إلا بالصلاة ورفع القلب . وجلسنا في السيارة ونحن نتحدث عن فاعلية الصلاة والتمتع بها مهما كان عمل الإنسان، فإنه لا يمكن أن يشغله عن الصلاة متى تعلق قلب الإنسان بها.

وفي أثناء ذلك علا صوت إحدى ساكنات العمارة تنادي البواب ليقضي لها طلبًا فوجدته للحال يرد عليها مجاوبًا وبكل وداعة وهدوء وضع الأجبية في جيبه وتطلع إلى مصدر الصوت... أنزلت السيدة سلة من أعلى، فالتقط ما بها من نقود وانطلق يشتري لها ما أرادت... وقال لي أبونا أن جميع سكان العمارة والجيران والمحيطين يحبون هذا الرجل حبًا عجيبًا لكثرة أدبه وطاعته وسرعة خدمته وأمانته، وهم لا يعرفون أن مصدر الجاذبية هي حياة الصلاة الدائمة والصلة بالمسيح التي يحياها هذا الرجل البسيط بكل الصدق والإخلاص.

وقد تذكرت أيضًا زميل لي- وهو صديق عمري- كان يعمل معيدًا بالجامعة، وقد ملكت حياة الصلاة على كل مشاعره وأحاسيس قلبه فكان يلهج في ناموس الرب نهارًا وليلاً. وكان في أثناء تأدية عمله يشتاق إلى الصلاة، فكان كلما ملأ السبورة التي يشرح عليها للطلبه كلامًا، يرفض أن يقوم أحد الطلبة بمحو ما هو مكتوب عليها، ويصر أنه هو بنفسه يفعل ذلك، فيلتفت إلى ناحية السبورة، ويأخذ بيده "البشاورة" ويبدأ بمسح السبورة بنظام من أعلى إلى أسفل وفي خطوط متوازية وبهدوء شديد... وكان الطلاب يعزون ذلك إلى شدة النظام والنظافة التي يتحلى بها هذا الأخ والواقع أنه كان ينتهز هذه الفرصة لينال دقائق في صلاة عميقة يخرج بها من دائرة العمل ومن جدران الفصل ومن مباني الجامعة بل ومن حدود العالم المادي المرئي إلى أجواء الروح العليا... لأن الذي اختبر قوة الصلاة يعلم أنها رفع العقل والقلب إلى ا ، فالقلب والعقل يختطفا في لحظه إلى السماء، إذا كان الروح نشيطًا في الأنسان، ولا يحتاج الأمر إلى زمن، إذ أن الاستعداد إلى التحليق في الروحيات كائن

ونار الروح متأججة لا تنطفيء.

ورأيت في حياتي مثلاً آخر لحياة الصلاة بلا تكلف... فحين تصدر الصلاة طبيعية تصير كلازمة من لوازم الحياة... تكون مثل التنفس للجسد فهي تحدث بصورة تلقائية عفوية دون تغصب أو أجتهاد ودون تمثيل أو محاولة للتقليد.

أعرف سيدة في المسيح، عاشت الحياة المسيحية غاية في البساطة والعمق في آن واحد، وقد كنت أتردد على منزلها كثيرًا، إذ تربطني بها صلة قرابة وثيقة.. كنت أراها وهي في مطبخ منزلها، الذي كانت تقضي فيه ساعات طويلة تخدم أسرتها بكل الحب والاتضاع والبذل... تلبس "مريلة" فوق ملابسها وفي جيب المريلة توجد الأجبية... فكل ما تحين لها فرصة أثناء عمل المطبخ ولو إلى دقائق تخرج أجبيتها وترفع قلبها بالصلاة ولو مزمور واحد... وهكذا كانت كل الأيام... وكنت أتباسط معها الحديث وأقول الأكل حلو لأنه معمول بالمزامير... فكانت في اتضاع وخجول تقول مزامير إيه بس واحنا بنصلي إيه وفين الوقت اللي بنقضيه مع ربنا... دا الواحد مكسوف إنه بينشغل بالحاجات دي... والواقع أنه لم يكن شيء ليشغلها عن الصلاة والقراءات والحياة الهادئة، فهي وإن كانت بحسب الظاهر كمثل مرثا تعمل الخدمات الكثيرة ولكنها حازت قلب مريم المصلية الهادئة التي اختارت النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها.

ومن الأمور التي شهد بها جميع عارفيها أن حياة الصلاة الحقيقية قد طبعت عليها لونًا من الوداعة عجيب، في هدوء صوتها الخفيض الذي لم أسمعها غاضبة أو مرتفعة الصوت أو محتدة، بل في هدوء الملائكة عاشت أيام السماء على الأرض وقد زانتها حياة الصلاة بزينة الروح القدس الوديع الهاديء الذي هو قدام ا كثير الثمن حتى انطلقت إلى المجد، وعبرت كعبور النسيم الهاديء.

طبيب يحيا حياة الصلاة

الأطباء الذين يتعاملون مع جسد الإنسان حين يضعف وتعصف به عواصف الأمراض هم أقدر الناس على معرفة حقيقية الإنسان من جهة ضعف الجسد وكم هو زائل.

والذين تربطني بهم صلة من الأطباء، كنت أوجه نظرهم دائمًا إلى أمور غايه في الخطورة لكي يتمجد ا   بهم وفيهم.

فالأمر الأول الذي لا يحتاج إلى برهان... أن الجسد الذي نحيا فيه هو غاية في الضعف. فلا مجال إذن للتباهي والتعالي والاتكال على الذات أو المعرفة أو الخبرة التي تقود الإنسان إلى هوة الكبرياء.. فرؤية الجسد على حقيقته في المرضى، هو هو رؤية الإنسان لذاته وإدراكه مقدار حقارة طبيعتنا وضعفها. هذا هو سبيل الاتضاع في حياة الطبيب.

وقد قرأت قصة عن طبيب كان قد فاق في علمه أهل زمانه فهو من رواد علاج مرض السرطان، ولكنه كان يتعامل مع المرضى كإله متعال... يتكلم عبارات مقتضبة، وكلمات قليلة وكأن قلبه قد صار من صخر، فهو بالنسبة للمرضى بلا إحساس وبلا تقدير للآلام.

وقد حدث في حياة هذا الطبيب ما لم يكن في الحسبان، فقد أُصيب هو بمرض السرطان، ثم بدأ في سلسلة الآلام والعلاجات... نفس المشوار الذي كان يراه في الناس... ولكنه في هذه المرة محسوس بكل المقاييس، ولحسن حظه فإن العلاج أتى بنتيجة إيجابية فشفى من مرضه... وبالحقيقة كان قد شفى من المرض الأخطر وهو الكبرياء، فعاد إلى عمله وإلى مرضاه إنسانًا جديدًا رحيمًا شفوقًا غاية الشفقة، إذ صار المرضى بالنسبة له كجسده الخاص.

هكذا كنا نوجه نظر الأحباء إلى هذه الحقيقة منذ بداية حياتهم المهنية.. وهكذا نما كثيرون نموًا، مطردًا ليس من جهة ما أصابوا من النجاح والشهرة بحسب المجال الطبي، بل بحسب نمو إدراكهم الروحي

وانفتاح وعيهم على هذه الحقيقة والعيش بمقتضاها.

ثمة أمر آخر كنا ننبه إليه الأذهان... إن قدرات الإنسان محدودة مهما سمت وإنه "إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون".. على ذلك يتفكر الإنسان دائمًا أن ا هو الوحيد الذي يعرف سر مرض الإنسان لأنه صنع يديه وهو مكونه في الأحشاء قبل أن يولد.

فالطبيب الناجح يدرك دائمًا أن يد ا هي الى تمتد وتمنح شفاءً للنفس والجسد معًا.. فالمسيح هو طبيب الأرواح والأجساد، فإن سمح الرب واستخدم آنية ضعيفة فلكي يتمجد هو... فلذلك نعطي المجد اللائق حين ينجح طريقنا ونشكره ان استخدمنا لمجده.

وقد عاش كثيرون من الأحباء ملتصقين بالرب يمجدونه في كل يوم وفي كل ساعة ويشعرون بصدق مواعيد ا الأمينة وقد حدثت في حياة الكثير منهم أمور يتعجب منها.

من الأمثلة الحية التي شهدت لنعمة المسيح وعمل الروح القدس، أحد أحبائنا وهو طبيب مشهور التصق بالرب منذ شبابه المبكر، إذ كان يتردد على أبينا مينا المتوحد في مصرالقديمة يعترف عليه ويسترشد بنصائحه الأبوية، فلما اعتلى البابا كيرلس عرش مارمرقس الإنجيلي وكان هذا الأخ قد تخرج من كلية الطب منذ سنوات وصار طبيبًا للبابا في فترات إقامته بالإسكندرية ودير مارمينا. وكان البابا يأنس إليه ويحبه ويشجعه على الطريق الروحي... إذ كان هذا الأخ قد كرس نفسه أن يحيا بتولاً متقدسًا وهو في العالم.

وقد كانت حياته الروحية تظهر في غاية الوضوح مشهودًا، لها من الجميع مؤمنين أو غيرهم.

وإذ ذاع صيت فضائله وعلمه وعمل ا معه صار من أشهر الأطباء وأكثرهم زحامًا.. وكان طويل الروح دائم البشاشة كثير الصلاة. لم يكن يضع يده ليكتب دواء لإنسان إلا ويرفع قلبه في صلاة قصيرة،

وكان الناس يظنون أنه يعصر فكره ويركزه لكي يكتب الدواء المناسب، بينما كان هو يطلب نعمة ويطلب معونة ا ويمجده من أجل أعمال حبه ورحمته.

وقد أكرم ا هذا الأخ بقلب عجيب في المحبة وعميق في الاتضاع، سخي في العطاء وقد صار مجال عمله مجال خدمة المسيح، فقراء كثيرون كانوا يجدون فيه حب المسيح الحاني، فكان يعالج ويصرف الدواء ويعطي معونات في الخفاء.

لقد مارس عمل الخدمة الباذلة آلاف المرات ومع جميع أصناف الناس وبلا تمييز أو محاباة، فحين كان يعالج أحدًا، من مرضاه ويشعر أن حالته حرجة، ما كان يترك منزله بل يكرس وقته حتى إلى ساعات طويلة إلى جوار فراشه... وإن لزم الأمر ينزل بنفسه مسرعًا في منتصف الليل أو قبل الفجر إلى الصيدلية الوحيدة في محطة الرمل التي يتوفر فيها الأدوية في مثل هذه الأوقات ويعود بلهفة يتابع الحالة ويسهر بنفسه دون تكليف من أحد غير ناظر إلى أى اعتبار... وعبثًا حاول أحد أن يكافئه عن هذا العمل... فلم يتقاض عن مثل هذه الأعمال أجرًا من إنسان أيًا كان، حتى الأدوية التي كان يشتريها في مثل هذه الحالات وهي مكلفة جدًا لم يكن يأخذ ثمنها من أحد.

كان تصرفه عجيبًا في عيون الناس، لم يكن كباقي الأطباء الذين يؤدون واجبًا بل كان تكليفه من ا أن يعمل رحمة مع جميع الناس. فأحبه الناس حبًا فائقًا إذ رأوا فيه صورة نادرة من صور الحب المجاني الذي اقتناه من الذي بذل نفسه لأجلنا.

يعطيك الرب سؤل قلبك

من الأحباء الذين عاصروا بداية كنيسة مارجرجس باسبورتنج، عائلة متدينة ملتصقة بالكنيسة، نزحت من المنصورة منذ زمن ثم ارتبطت هذه الأسرة بأبينا بيشوي ارتباطًا روحيًا وثيقًا... فرب الأسرة رجل ملتزم

يحيا في خوف ا   وله تاريخ حي مع المسيح وعشرة طيبة، والزوجة فاضلة بمعنى الكلمة... ربت الأولاد في خوف ا   فنشأوا جميعًا خدامًا وشمامسة محبين   ملتصقين بوصاياه... شيء شهي للنفس أن تراه، إذ تجد هذا المناخ الروحي المفرح الذي إذا نمت النفس فيه تجد سندًا، وأى سند ضد تيارات الشر التي في العالم.

تخرج الإبن الأكبر من الجامعة وشغل منصبًا ممتازًا، إذ صار في سن الزواج رزقه ا   بفتاة متدينة من عائلة محبة للمسيح وكان أن ارتبط بها وقد فرح به أبواه كباكورة للفرح وكعربون للسعادة الأبدية.

كانت الزوجة الشابة قد أنعم ا   عليها بقلب نقي عجيب، وبساطة طفولية وبراءة نقية من شوائب الدنيا... وكانت تعترف عليّ، إذ قد تركت بلادها وأب اعترافها بعد أن تزوجت وعاشت في الإسكندرية.. فكنت أجد فيها صورة لنقاوة القلب وبساطة الحياة وكنت أدعو لها دائمًا أن تنمو في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح.

جاءتني مرة تقول: هل كل طلبة نطلبها من ا   يستجيبها؟ قلت لها: نحن تعودنا أن نضع طلبتنا أمام ا   ونثق في حبه لنا، وأنه يختار ما هو الصالح لحياتنا والنافع لأبديتنا ويعطينا حسب غنى نعمته الفائقة وحسب قلبنا المتجه إليه لأنه مكتوب "يعطيك الرب بحسب قلبك"... قالت: ولكني أطلب من ا   بكل ثقة وإيمان ولكنه في نفس الوقت طلب غريب! قلت: وما هو طلبك؟ قالت: إنني أطلب من الرب أن يعطيني بنتين توأم.... سأكون في غايه الفرح، إذ ينميا أختين متحابتين، أعتني بهما معًا وألبسهما ثيابًا بنفس الشكل وأمشط شعرهما بنفس الطريقة... زهذه هي أمنيتي وطلبتي لدى ا . وكنت أنا أندهش من هذا الكلام وخيل إلىّ أنها أحلام طفولية ساذجة، وكيف تكون هذه الأمور في حد ذاتها طلبة!

ولكني كنت أراجع نفسي وأقول ما شأني أنا؟ إنها تطلب من قابل الصلاة والذي قال "اطلبوا تجدوا، اسألوا تعطوا"... فماذا لىّ أنا في تقييم

الصلاة أو قبولها... دعها وشأنها وهو العارف قلوب البشر وهو الذي يعطي بسخاء ولا يعيّر.

لذاك كت أجيبها أنه مهما طلبنا فهو يسمع ولكن استجابة الصلاة أمر يعرفه هو وحده... ثم رجعت بعد عده شهور وأعلمتني أنها حامل وأنها مازالت تكرر الطلب والسؤال لدى ا متشفعة بالقديسة الطاهرة مريم والشهيد العظيم مارجرجس.. وكنت أصلي لها وأتعجب من إيمانها.

جاءتني يومًا وهي في غاية الانفعال وهي تقول تصور أنني دخلت إلى الكنيسة اليوم وذهبت لأوقد شمعة أمام أيقونة مارجرجس، وإذا الشمعة بها فتيلتين، فكدت أطير من الفرح وكأن ا يكلمني بصوت أكثر وضوح من أى صوت... ألا تعتبر هذه إشارة من ا ؟ وبالحق لم يكن في عقلي أوفمي جواب، ولكني كنت أقول لها ا قادر على كل شيء. ثم جاءت إليّ في يوم آخر وعليها علامات الفرح بأكثر وضوح وثقة في إيمان راسخ وقالت ليّ: مرة أخرى ونحن بعد الغذاء مددت يدي وأخذت موزة لآكلها... فتحتها وإذا هي توأم موزتان في واحدة. لم يكن أيامها أجهزة من التي تكشف عن الأجنة في بطون أمهاتها... وكان نوع الطفل لا يعرف إلا عند الولادة.

أكملت أيامها بسلام وعند الولادة إذ بها تضع توأم بنتين... كم كانت فرحتها ليس فقط بالبنتين بل أن ا استجاب طلبتها وسمع صلاتها.

كنت أتعجب في نفسي من هذا الإيمان الواثق والقلوب البسيطة التي تستطيع أن تأخذ من ا بطريقة يصعب التعبير عنها وقد ريتهما كماطلبت من ا وكبرتا تترعرعان في حضن البيعة المقدسة كزهرتان مغروستان على مجاري مياه الروح.

إلى هنا أعاننا الرب.